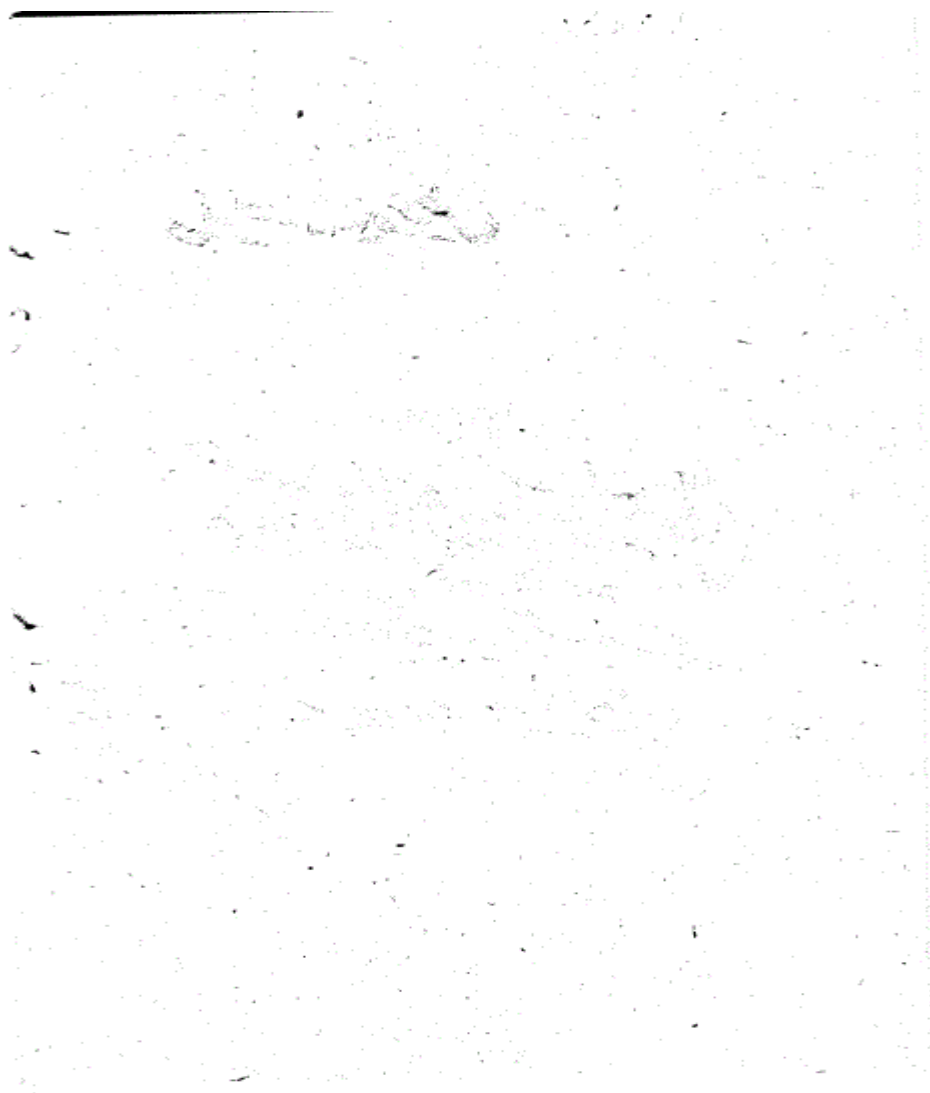
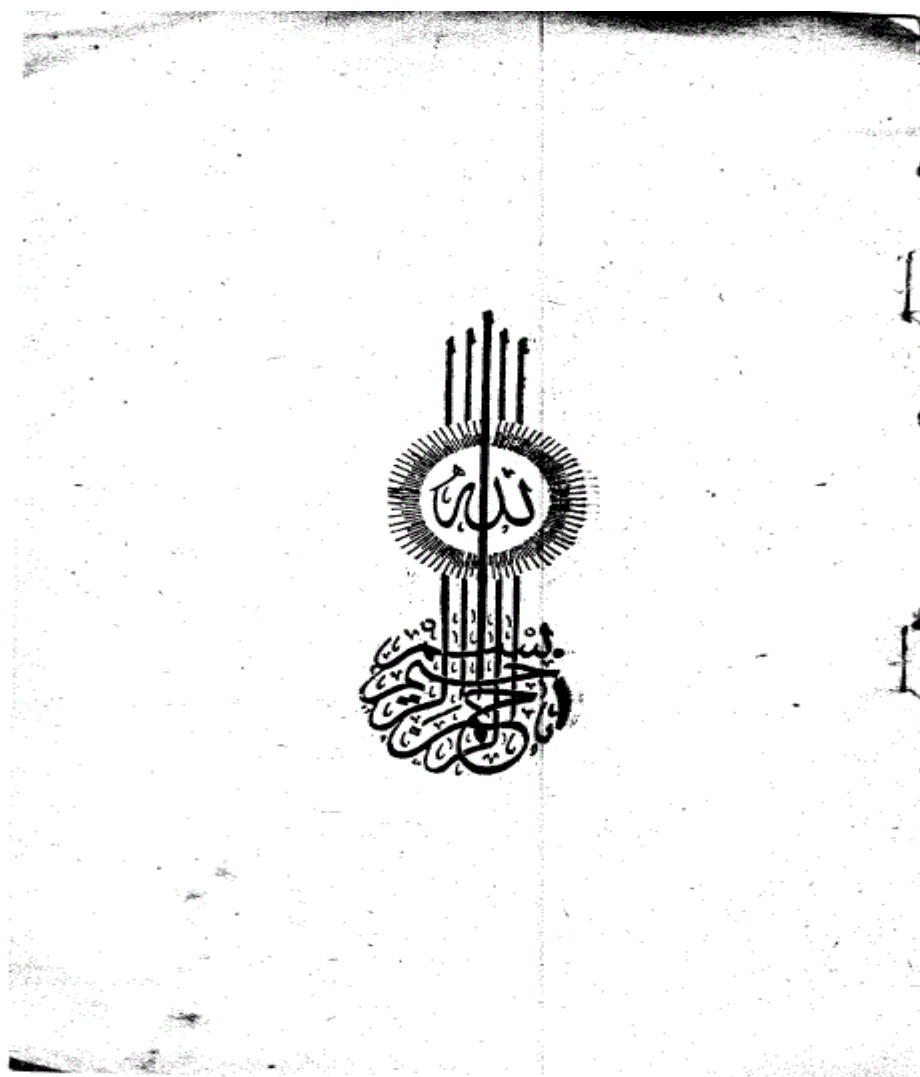


د. ابراهيم عوض

معركة الشيعر كجاهلي
بين الرافعي وطه حسين
بحث موضوعي مفصل

١٩٨٧

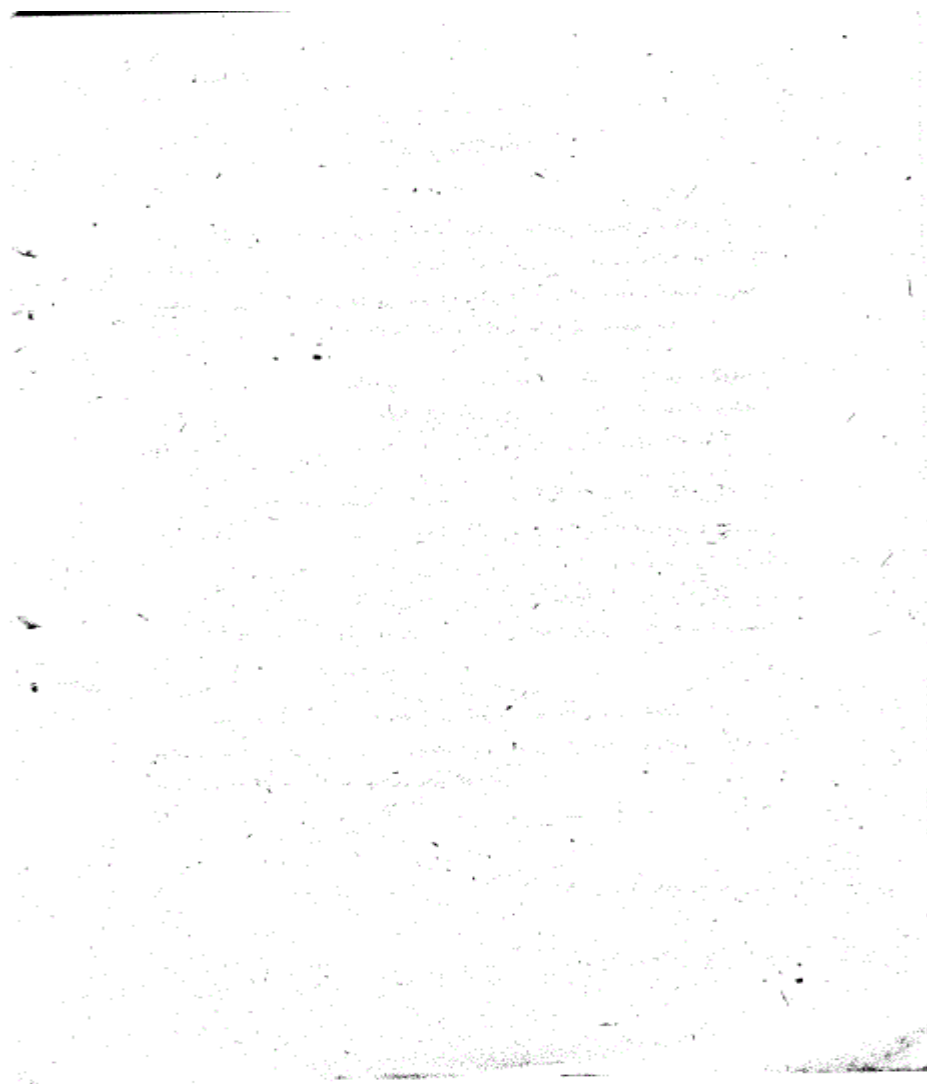






الأهـمـية

إلى يميني وعلاء الدين زهرة حياتي ، وقاهما الله
من كل سوء ، وإلى زوجتي ، التي تقوم مشكورة
بنسخ ما أكتب ، على ما في ذلك من عنت وبرغم
انشغالها في بحثها العلمي .



مقدمة

في الصفحات التالية عرض متصل لفضية الشعر الجاهلي ، التي أثارها الدكتور طه حسين بكتابه « في الشعر الجاهلي » ، وهيت لفائمة من النعائ والطباء يردون عليه وينقدون منهجه وآراءه ، وكان على رأسهم المرحوم مصطفى صادق الرافعي ، الذي ركزت الكلام عليه من بينهم هنا .

وقد حاولت بكل ما أستطيع أن أعرض المسألة بالحياد العلمي المطلوب ، فلم أضع في حصيلتي نصرة أحد الطرفين على الآخر ومن ثم لم أقصد واعتدت كل واحد منهما على ما أعتقد أنه الصواب وخالفته فيما أحسبت أنه خطأ .

وقد يضيق بعض بهذا الموقف مني أو ذاك ، بيد أن ذلك لم يكن في بالي وأنا أكتب هذا البحث ، إذ كان شغلي الشاغل هو ارتضاء الحق جلياً وعلاً . والذي أعرفه أنني كتبتّه وأنا راغبي الضمير ، وفرغت منه وأنا أيضاً راغبي الضمير . من هنا فلا على إذا رضى قوم أو سخط آخرون ، فالهم رضى ربي . فإن رضى ، وهو غاية المراد ، وكان الذي بيني وبينه عامراً فليست أبالي أن كان الذي بيني وبين غيره خراباً .

اللهم تقبل عيلى ، واجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة ، وأضيء بصيرتي بنور الحق واليقين ، وثبت قدمي على صراطك المستقيم ، وأبدني بعدد من غفلك ، انك يا مولاي نعم النصير !

[illegible]

the origin of the word "cancer" is from the Greek word "kancer" which means "to swell" or "to grow". The word "cancer" is derived from the Latin word "cancer" which means "a swelling" or "a tumor". The word "cancer" is also derived from the Greek word "kancer" which means "to swell" or "to grow".

[illegible][illegible]

ورئاسة وزرائها ووزارة المعارف ونهبوا الالة جمعاء ، مخفق البرق من كلاً جهلت القطر بالاحتجاج على استاذ الجامعة « (١) » ، ومعنى هذا أنه لم يسبق الرافعي أحد آخر في نقد الكتاب وتبيين ما فيه من هجوم على القرآن والإسلام والإلتهاف العلماء نهجتهم هذه قبل ذلك . وقد عباد الاستاذ الرافعي رحمه الله مذكر في مقالة تالية أنه أول من نبه الى ما في كتابه طه حسين من الحاد ثم تبعه العلماء في ذلك (٢) ، وهو ما يؤكد أن الرافعي كان هو السابق الى نقد كتاب طه حسين . هذا ما استنتجته من سياق هذه القضية وسير أحداثها ولا أعلم غيره ، فان ظهر اني أخطأت رجعت عن رأيي .

على أن هذه شيء والتكليف بان الرافعي أول من انتقد ما قال طه حسين عن الشعر الجاهلي شيء آخر ، فله سببه الى هذا الأستاذ عيسى فاضل والامير شكيب ارسلان (٣) . وقد ذكر المرحوم الرافعي أنه كان يعلم أن طه حسين يلتزم خروجه في الشعر الجاهلي غير أنه لم يقف على شيء منها ، حتى نبيه مقال الأستاذ عيسى فاضل ثم مقال الامير شكيب ارسلان (٤) . ان كتاب « في الشعر الجاهلي » لما يكن قد صدر ، ومن ثمة كان النقد الذي وجهه الاستاذان الفاضلان الى طه حسين منسباً على ما يقوله في محاضراته (٥) . وقد دارت مقالة الأستاذ فاضل على ما انتهى اليه طه حسين من أنه « لا تأثير للوثنية واليهودية والنصرانية على الشعر العربي والجاهلي منه على (الآخر) » وان ما وجد من الشعر مشتتاً على مبادئ للوثنية او اليهودية انها هو محسوس على من نسب اليهم ، وأنه لم يكن موجوداً في عصرهم » ، وعلى

(١) تحت راية القرآن / مطبعة الاستقابة بالقاهرة / ط٣ / ١٩٥٣ / ص ١٥٨ .

(٢) انظر ص ١٦٧ من كتاب الرافعي ، وهو من مقالة بعنوان « فلما أتركه الترق » .

(٣) انظر مقابليهما في كتابه « تحت راية القرآن » / ص ٨٢١ — ٨٦ و ٨٧ — ٩٦ على التوالي .

(٤) انظر تحت راية القرآن / ص ٦٩ .

(٥) انظر تحت راية القرآن / ص ٨١ ، و ص ٨٨ مقنا وهابشا .

ما بنى عليه الأستاذ الدكتور هاشم التهجيني من « أن الحكيم المسلم لم يمنعوا تداول كل شعر اضطر على ميله وهذه الدياليت بما يخالف سجن الاسلام ومبادئه ومحوه جنبه » ، وإن أهل هذه الملل بعد سكون حركة الفتوح واستتبابه السلام وتغلغل الحركة الفكرية في ميدان الأدب والعلوم قد دفعهم تعصبهم لشيء من ملتهم المسلمين إلى القول عليهم بما لم يتولوا ونسبة أشعار إليهم لم تكن من نسج يملهم ولا هي من منتوجات عقولهم^(٦) كما دارت مقالة شكيب أرسلان ، التي ظهرت بعد مقالة الأستاذ فاضل على النقطة نفسها .

ليس الرافعي إذن أول من انتقد ما قاله طه حسين عن الشعر الجاهلي ، ولكنه غيباً أعرف هو أول من تناول آراء طه حسين المكتوبة في هذا الموضوع تناولاً مستفيضاً مفصلاً ، لا في مقالة واحدة بل في عدة مقالات قلب فيها كتاب « في الشعر الجاهلي » تغليبا ، وأول من نبه إلى ما في الكتاب من آراء تتناقض من الإيمان بالاسلام وكتابه ونبيه . ولا شك أن من تناولوا آراء طه حسين بعد ذلك قد استفادوا من هذه المقالات المبيعة التي ترك فيها الرافعي اغرابه في الاستلوط والفكرة والصورة وترك نفسه إلى حد كبير على سجيته ، فابتغى ببيانته المتدفق وعلبه الرصين وتمكنه اللادع ، وإن لم يكن هذا أننا نوافق على كل ما قاله .

وليس معنى هذا أن الرافعي لم يتناول رأي طه حسين في الشعر الجاهلي قبل أن يصدر كتابه عن هذا الشعر ، فقد كتب في ذلك مقالات أربعا تناولتها كالاتي : « إلى الجامعة المصرية » و « إلى الجامعة أيضا » و « شهد شاهد من أهلها » و « فلسفة كفيف الماء »^(٧) . وهي مقالات قصيرة

(٦) المرجع السابق/ص ٨١ .

(٧) ذكر الأستاذ الرافعي أنه كتب مقالاته التي يرد بها على محاضرات طه حسين وكتابه « في الشعر الجاهلي » في جريدة « كوكب الشرق » . انظر تحت راية القرآن/ص ٦٩ .

بالنسبة لمقالاته التي كتبها بعد ذلك في نقد كتاب « في الشعر الجاهلي » بعد مشورته . كما أنها تدور في الأساس حول ما دارت عليه مقالات عباس ماضي وتكيب أرسلان مع بعض الاختلاف ، ولكن في إيجاز شديد . وقد وجه المقالة الأولى إلى المسؤولين في الجامعة يسألهم : هل قرر استاذها (يعني طه حسين) ما تنتسب اليه من تشكيكه في الشعر الجاهلي وان القرآن هو الذي يمثل العصر الجاهلي لا ذلك الشعر المنسوب اليه وان الفول المعزى الى امرئ القيس هو لابن ابي ربيعة ؟ واذا كان قد قرر ذلك فما ادلته ؟ وهل يصح ان يقرر ذلك في دروسه التي يتقاضى اجرها من مال الامة ؟ (٨) . اما في المقالة الثانية فقد شكك في مقدرة طه حسين على الاضطلاع بتدريس تاريخ الادب العربي (٩) ، وفي الثالثة يتهمه بالتلاعب بالتاريخ ورسم الاسلام بأنه دين الحرج والتعصب وضيق الفكر اذ ان المسلمين وحكامهم ، على ما قال ، قد محوا في بداية الاسلام شعر اليهود والنصارى والوثنيين . كما يسميه « المبشر طه حسين » ، ويشير الى مقالة في « البلاغ » يتهم كاتبها طه حسين انه سرق محاضراته عن امرئ القيس من من دائرة المعارف الاسلامية ، ويطالب الجامعة بان تعقد مناظرة بينه وبين طه حسين (١٠) . وفي المقالة الرابعة يصفه منهج طه حسين في دراسة التاريخ ، ويعود فيؤكد انه لا يصلح للقيام بالتدريس في الجامعة ، ويختتمها بأرجوزة تهكمية فيه . وقد الحق بهذه المقالة حاشية ذكر فيها انه بعد كتابته لها تلقى كتاب « في الشعر الجاهلي » وانه قرأ فصل « مرآة الحياة الجاهلية يجب ان تلتصق في القرآن » ، وعد ذلك خيلا عقليا (١١) .

والملاحظ من مقالي الاستاذ ماضي والامير شكيب أرسلان ومقالات الرافعي الأربع هذه انه لم يرد في ايها ذكر لما قاله طه حسين عن قصص

(٨) انظر تحت القرآن/ من ١١٢ — ١١٥ .

(٩) المرجع السابق/ من ١١٦ — ١١٨ .

(١٠) المرجع السابق/ من ١١٩ — ١٢٢ .

(١١) انظر المقالة في « تحت راية القرآن » من ١٢٣ — ١٢٧ .

عشيدنا إبراهيم وسيدنا اسحاق عليهما السلام في القرآن من انها اسطورية
شاعت بين العرب في العصر الجاهلي واستغلها الاسلام لأسباب سياسية
وغير ذلك ، وهو العمل الذي إلهج الدنيا عليه وعبد كلامه فيه موقفاً من
الاسلام فحقيقة من الطبعة الثانية من كتابه ، الذي غير منسوانه الى « في
الادب الجاهلي » . فهل لم يلخص طه حسين هذا الموضوع في محاضراته ؟
الادب الجاهلي » . فهل لم يلخص طه حسين هذا الموضوع في المحاضرة ؟
أم هل تعرض له في محاضراته قبل صدور الكتاب ولكن لم يبلغ كلامه فيه
أحد من كتبوا عن هذه المحاضرات ؟ لقد نفي لطفى السيد أن يكون طه حسين
قد أتى على طبعة ما جاء في الكتاب (١٢) ، فإن كان يقصد كل شيء جاء في
الكتاب فهو يجاقى الوقائع التاريخية ، والا فكيف عرف عيسى عيسى وشكيب
أرسلان وطه حسين ببعض أفكار الكتاب قبل صدوره ؟ كذلك فإن عندنا
الأستاذ محمود شاكر ، الذي كان في ذلك الوقت واحداً من طلبة قسم
اللغة العربية الذين كان طه حسين قد حاضرهم في هذا الموضوع ، والذي
تشهد بأن طه حسين قد حاضرهم في هذا الموضوع ، وأنه ناقش
طه حسين في آرائه ، بل وأنه فيها بينه وبين بعض الطلاب وكذلك أمام عدد
من المستشرقين الذين كانوا اساتذة في كلية الآداب في ذلك الوقت بأنه سرق
أفكاره هذه من مارجليوث المستشرق الانجليزي ، وأنه انتهى الأمر به الى ضيق
وتفوق ، بأبيض الجامعة وتركها ولم يكمل دراسته بها (١٣) . بيد أن الملاحظ
ايضا ان الأستاذ شاكر لم يشر الى ان طه حسين قد رفض صراحة شيئاً
مما جاء في القرآن ، مما يعود بنا الى الأسئلة السابقة (حول هذه النقطة)
التي لا نجد لها جواباً ، اللهم الا اذا أخذنا ما قاله طه حسين في كتابه على
ظاهره ، إذ ذكر انه أذاعه على تلاميذه ، وأنه ليس شراً ما يتحدث به الانسان

(١٢) تحت راية القرآن/ص ٢٨٧ .

(١٣) انظر محمود شاكر/المتنبي/السفر الأول/ص ١٥ — ٢٦ ،
٤٠ — ٤١ ، ومجلة الثقافة/المعد ٦٠ ، سبتمبر ١٩٧٨/ص ٧ ، ١٢ ، ١٤ ،
(وذلك من مقالة للأستاذ شاكر أيضاً بعنوان « المتنبي - لفتى ما عرفه » .)

الى مائتين من التلاميذ (٢٤) . ومع ذلك فقد خفي في النص سؤال : او قد
 على طه حسين هذا الذي قاله بهذا المعنى ؟ بمعنى هل حاضر فعلا طلابه قبل
 صدور الكتاب في كل ما ورد في هذا الكتاب أم انه أرسل القول بغير تهديد ؟ ان
 الذي جعلني أقف أمام هذه المسألة هو : كما أشرت ، ان احدا من الذين كتبوا
 عن المحاضرات قبل صدور الكتاب لم يذكر ان طه حسين قد رفض ما جاء
 في القرآن صراحة ، بل ان الاستاذ مكتوب هناك ، حتى بعد مرور هذه
 العقود ، لم يشر هو ايضا الى هذه التعملة . فان كانت الاجابة على السؤال
 الثاني من السؤال بنعم بمعنى ذلك ان لطفى السيد حين نفي ان يكون طه
 حسين قد حاضر الطلاب عليها جاء بعد ذلك في كتابه ربما كان قصده ان طه
 حسين لم ينتهج العنصران في محاضراته ، وهو في الحقيقة ما يفهم من عبارة
 الشيخ محمد احمد عزفه في كتابه « نقض مطاعن في القرآن الكريم » (١٥) .
 ومع ذلك فان الفصل الذي اهتم فيه طه حسين الاسلام بأنه استغل ما سباه
 باستنطورة هجرة ابراهيم واسماعيل الى مكة لأسباب سياسية هو من اولئك
 الفصول في الكتاب ، اذ هو الفصل الرابع من الكتاب الاول (وبالمقاسية
 فكتاب « في الشعر الجاهلي » ينقسم الى ثلاثة كتب) ، ويشغل الصفحات
 من ٢٤ الى ٣٠ . وما جاء فيه هو واحد من الاسس التي بنى عليها نظريته
 (اقول : « نظريته » هنا تجاوزا . وسوف تناقش ذلك فيما بعد تفصيلا) ،
 مما جعلني استبعد ان يكون طه حسين لم يذكر ذلك في محاضراته . ولكني ،
 كما سلف القول ، اعتنيت بالحقيقة التي يؤداهما ان احدا من تكلم عن
 محاضراته لم يشر ، فيما أحسرف ، الى انه ردد فيها هذا الكلام . وهي
 ههنية ، كما ترى ، لا يكتفى البتة فيها برأي لا معتب له ، وانما يسكن ان
 يجل لنا هذا القومض احد الذين سمعوا هذه المحاضرات ممن لا يزالون
 احياء ، اطال الله في اعمارهم .

(١٤) انظر محمد احمد عزفه/نقض مطاعن في القرآن الكريم/ص ١١٦ -
 ١١٧ . وقد حافظ الدكتور طه حسين على هذه العبارة حتى في الطبعة الثانية
 للكتاب ، الذي غير عنوانه الى « في الادب الجاهلي » . انظر ص ٦١ من هذا
 الكتاب/دار المعارف/١٩٦٤ . (١٥) انظر ص ١١٦ .

القضايا المتصلة بهذه المعركة

وقد تناولت مقالات المرحوم الرافعي التي انتقد فيها كتاب « في الشعر الجاهلي » عدة قضايا هامة : الأولى : اتهم طه حسين في ديته ، والفلقية خربة الفكر ، والثالثة تولد له سرقة الفكر من المستشرقين ، والرابعة تصفيته لنتجه الذي اتبعه في ترجمة الشعر الجاهلي ومناقشته لإرائه وتفنيدها . وسوف نتناول هذه القضايا واحدة بعد الأخرى مع ما يتصل بكل منها من قضايا أخرى .

ونبدأ باتهام الرافعي لطله حسين في ديته . وقبل أن تعرض لمناقشة الرافعي في هذا الصدد نذكر أن صاحب كريم يربط بين هجوم الرافعي على طله حسين عند ظهور كتاب « الشعر الجاهلي » وبين انتقاد طله حسين قبل ذلك لأسلوب الرافعي (١٦) . وقد سبق هذا بطريقة توحى أن الرافعي حين انتقد كتاب « في الشعر الجاهلي » إنما كان مدفوعاً بمقابل الانتقام لا بدافع البحث العلمي والغيرة على الدين . وهو ما فعله أيضاً عند اشارته إلى نقد المرحوم رشيد رضا للكتاب ذاته ، إذ أرجع هذا النقد إلى اتهام طله حسين لرشيد رضا في ضيق دينه وإخلاص دعوته إلى الدين (١٧) . وأنا وإن كنت لا أستبعد تدخل العواويل الشخصية في هجوم الرافعي على آراء طله حسين (الرافعي بشر على كل حال) لا أظن أن هذه العواويل هي المحرك الأول للرافعي رحمه الله ، والا لنعى ذكر طله حسين آياه بخير في كتابه

(١٦) انظر سليم كريم/ماذا يبقى من طله حسين/ص ٥٠ - ٥١ وأنظر في هذه المعركة القديمة كتاب الرافعي « تحت راية القرآن » ص ١٠٠ - ١١٢ ، وحديث الأربعة/طله حسين/ج ٣/ص ٢ - ٤٠ . كذلك فإن كتاب « طله حسين الشاعر الكاتب » لمحمد سيد كيلاني يلقي ضوءاً على بدايات الخلاف بين الكاتبين . ص ١١٦ - ١٢٠ .

(١٧) انظر ماذا يبقى من طله حسين/ص ٥١ .

« في الشعر الجاهلي » نفسه وثناؤه فيه على كتابه « تاريخ آداب العرب » من التعرض له (على الأقل بهذا الحنف ١٩٥٤) ولما هاجم لطفى السيد أيضا ، وهو لم يسيء إليه ، بل على العكس مدح كتابه في تاريخ الادب العربي حين حذره مدحا جريلا ، وجعله محور حديثه في كل مفتوى يذهب اليه في القاهرة (١٩) ، وعلى أية حال فالمصنف بصحبة رأي الرافعي أو غيره ، وهيل السبند في اتهامه لميريمه إلى دليل أو أنه أرسل الاتهام أربالا ؟ كذلك لا ننس أنه إذا كان الرافعي قد اتهمه في دينه فقد سبق أن فتح طه حسين هذا الباب وشبك في تدين رشيد رضا وإخلاصه في الدعوة إلى الدين كما رأينا . أقول هذا لأن بعض الباحثين قد حمل على الأستاذ الرافعي لوقفه هذا من طه حسين وحضرنا من أن نكون آراءنا في هذه المسألة عن طريق السماع (٢٠) .

ونحن هنا لن نكتفى بترديد رأي الرافعي في طه حسين بل سنعرضه على النصوص وسنقله على كل وجهه . وأريد أن أصارح القارئ منذ الآن بأن العلم لا يعرف تلك الحساسية التي تصيب بعض الناس حينما يرون من ينتقد هؤلاء الذين يعظمونهم ، وتدفعهم إلى القول بأننا ينبغي ألا نتعرض لأيام هذا الشخص أو ذاك ، على أساس أن هذا تدسس إلى القلوب نهى عنه الاسلام . أن هذا الاعتراض يصبح لو أن الباحث يرحم في هذه القضية بالغيب ، ولكن إذا كانت هناك نصوص مقطوع بنسبتها لا يمكن تأويلها فمعنى

(١٨) وذلك بعد أن كان قد عاب هذا الكتاب قبل ذلك . انظر تحت راية القرآن/ص ١٠٠ ، ١٣١ ، وفي الشعر الجاهلي/ص ٩٠ - ٩١ (ص ١٩٢ من « في الأدب الجاهلي ») ، ومحمد سعيد المرين/حياة الرافعي/ص ١٥١، ١٥٦ . (١٩) انظر في هجوم الرافعي على لطفى السيد ومدح هذا لكتاب الرافعي « تحت راية القرآن » ص ٢٢١ ، ٢٧٢ - ٢٧٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣١٥ - ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ والمرين/حياة الرافعي/ص ٦٨ - ٦٩ .

(٢٠) انظر مقالة د. إبراهيم عيد الرحمن « إلى خصوم طه حسين : النمس الكايل لمقالة مرجليوث في براءة عبيد الادب العربي » الأهرام/ الجمعة ١٩٨٢/٢/٧ الصفحة الأدبية .

ذلك أن للباحث الحق في دراسة الأمر . وقد سبق أن تناول كثير من الدارسين عقائد أمثال يزيد بن الوليد وابن المقفع والمنتبى والمعري والحاكم بأمر الله ، فلم نسمع من ينكر عليهم ، فلماذا الكيل بمكيالين إذن ؟ أما ما يكن الأمر فائنا هنا بصدد تناول رأى الرافعى في عقيدة طه حسين ، وهذا الرأى جزء من تاريخنا الفكرى والأدى لا اظننا نكون ابناء لو اهلنا عليه التراب . كذلك فائنا لا ندعى أن ما سنصل اليه من نتائج هو كلام لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا يقول هذا الا جاهل أو مغرور ، وانما هو اجتهد على قد يصح وقد يخطئ . وإذا كان طه حسين قد رأى أن من العلم أن يقول ما قال في القرآن الكريم فلماذا نعييب الرافعى إذا رأى في موقف طه حسين هذا رأيا ؟

أن الرافعى يرى أن طه حسين أداة أوربية استعمارية(٢١) ، غرضه توهين عرى الاسلام(٢٢) ، وياخذ عليه أنه لم يصل على النبى مرة واحدة في كتابه ولو بصرف(ص) كما يفعل نصارى العسرب(٢٣) ، ويسميه «المبشر طه حسين» مرة و «المستر حسين» أخرى(٢٤) ، ويشبه الجامعة (في مجال العلم) بمستشفيات المبشرين (في مجال الطب) (٢٥) ، ويكنيه «أبا مرجريت» و «أبا البرت» (٢٦) ، ويشير الى دور زوجته في حياته وتأثيرها عليه (٢٧) ، وينتهه بالزندقة(٢٨) والالحاد(٢٩) ، ويورد أيضا اتهام الشيخ مفتاح له بأنه كافر وتحديه له أن يقاضيه(٣٠) . وهو من ثمة يدعو

(٢١) تحت راية القرآن/ص ١٨٦ .

(٢٢) المرجع السابق/١٩٩ .

(٢٣) المرجع السابق/ص ٢٠٧ .

(٢٤) ص/١٢٢ ، ص/١٧٧ .

(٢٥) ص/١٤٥ .

(٢٦) ص/٢٠٠ ، ٣٤٤ ، ٣٧٣ .

(٢٧) ص/٣٤٩ .

(٢٨) ص/١٢٩ — ١٣٠ .

(٢٩) ص/٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٩ .

(٣٠) م ٢ — معركة الشعر الجاهلى .

الى ابعاده عن الجامعة وحماية النشء من افكاره» (٣١). ويخرض عليه وزارة المعارف لانه ، كما يقول ، يناقض بأرائه ما يقال للطلبة في كتبها ومدارسها ، والمفروض في نظره الا يكون هناك تناقض ، والا فعليها ان تعلن صحة آرائه وتتابعه عليها» (٣٢) .

وحين يدافع لطفي السيد عن طه حسين على اساس حرية الفكر يرد الراجعي بانه لا يتازعه في معاني حرية الرأي واشباهها ولكن النزاع في الجهل والكفر» (٣٣) ، ومن هنا نراه يهاجم حرية الفكر اذا أدت الى الكفر وتقطيع الأرحام» (٣٤) ، وان كان قد عاد في موضع آخر فسلم للجامعة بحرية الفكر ، لا الفكر فقط (يأسا منه فيما هو واضح ان يصيب المسؤولين في الجامعة السبع اليه في هذه النقطة) ، وركز على « الغلطات التاريخية والادبية التي وقع فيها استاذها » (٣٥) .

واتهام الراجعي لطه حسين بالكفر قائم على اساس ان هذا الأخير يرى ان القرآن تأليف لا وحى ، وان النبي عليه الصلاة والسلام رجل سياسة لا رسول ، وأنه يهاجم الصحابة» (٣٦) ، وأنه يرغب الحديث الصحيح» (٣٧) . وفي رأى الراجعي ان طه حسين يهاجم الادب العربي « لانه اساس في لغة القرآن ، ولان القرآن اساس في الدين ، ولان الدين يثاق مذهبهم في الحضارة الغربية ، التي يعملون لها جهد طاقتهم » (٣٨) .

١. (٣٠) ص/٢٤٢ — ٢٤٣ .

٢. (٣١) ص/١٨٨ .

٣. (٣٢) ص/١٧١ .

٤. (٣٣) ص/٣١٤ ، وان كان ظاهر كلامه قد يوحي بغير هذا .

٥. (٣٤) ص/٣٠٦ .

٦. (٣٥) ص/٢٧٣ .

٧. (٣٦) تحت راية القرآن/ص ٢٠٥ .

٨. (٣٧) تحت راية القرآن/ص ١٩٤ ، ٢٠٥ .

٩. (٣٨) المرجع السابق/ص ٣٠٦ .

والرافعى رحمه الله لا يلقي اتهاماته بغير دليل ، بل يسوق ما قاله طه حسين من أننا « يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربى وتاريخه أن ننسى قوميتنا وكل مشخصاتها وأن ننسى ديننا وكل ما يتصل به » (٣٩) ، وقوله (٤٠) أنه للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم واسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكتفى لاثبات وجودهما التاريخى ، فضلا عن اثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة اسماعيل وإبراهيم الى مكة . . . ونحن مضطرون الى أن نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الاسلام واليهودية والتوراة والقرآن من جهة أخرى (٤١) ، وما قاله فى ص ٢٨ - ٢٩ من الكتاب نفسه من أن قريشا « كانت فى هذا العصر (يقصد : عصر ما قبل الاسلام) ناهضة نهضة مادية تجارية ، ونهضة دينية وثنية ، وهى بحكم هاتين النهضتين كانت تحاول أن توجد فى البلاد وحدة سياسية وثنية مبهتلة » وأنه « إذا كان هذا حقا ، ونحن نعتقد أنه حق ، فمن المعقول أن تبحث هذه النهضة الجديدة لنفسها عن أصل تاريخى قديم يتصل بالأمم والتاريخية المأجدة التى تتحدث عنها الأساطير . واذن فليس ما يمتع قريشا من أن تتقبل هذه « الأسطورة » التى تفيد أن الكعبة من تأسيس اسماعيل وإبراهيم ، كما قبلت روما قبل ذلك ولأسباب مشابهة « أسطورة » أخرى صنعها اليونان تثبت أن روما متصلة باثيناس بن بريام صاحب طروادة (٤٢) وكذلك ما قاله فى ص ٨٠ من كتابه السالف الذكر من أن القرآن « يذكر التوراة والانجيل ويجادل فيهما اليهود والنصارى . وهو يذكر غير التوراة والانجيل شيئا آخر هو مصحف إبراهيم . ويذكر غير دين اليهود

(٣٩) المرجع السابق/ص ١٤٠ - ١٤١ . والنص موجود فى ص ١٢ فى كتاب « فى الشعر الجاهلى » .

(٤٠) ص ٢٦ من كتابه « فى الشعر الجاهلى » .

(٤١) تحت راية القرآن/ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٤٢) المرجع السابق/ص ١٤٧ .

والنصارى دينا آخر هو ملة ابراهيم ، هو هذه الحنيفية التي لم تستطع الى الآن أن تثبت معناها الصحيح ، واذا كان اليهود قد استأثروا بدينهم وتأويله ، وكان النصارى قد استأثروا بدينهم وتأويله ، ولم يكن أحد قد احتكر ملة ابراهيم ولا زعم لنفسه الانفراد بتأويلها فقد أخذ المسلمون يردون الاسلام في خلاصته الى دين ابراهيم (٤٣) ، وقوله في ص ٨٣ من نفس الكتاب : « وليس يعنى هنا ان يكون القرآن قد تأثر بشعر امية بن ابى الصلت او لا يكون » (٤٤) ، وقوله (في ص ٨٥) في الرد على المستشرق : « كلبان حوار وزعمه ان النبي قد استعان بشعر امية بن ابى الصلت في تأليف القرآن : » من ذا الذي يستطيع ان ينكر ان كثيرا من القصص كان معروفا بعضه عند اليهود وبعضه عند النصارى وبعضه عند العرب انفسهم ، وكان من اليسير ان يعرفه النبي ﷺ ، كما كان من اليسير ان يعرفه غير النبي . ثم كان النبي وامية متعاصرين ، فلم يكون النبي هو الذي أخذ من امية ولا يكون امية هو الذي أخذ من النبي ؟ ، فان الراجح يلح في هذا الكلام ان النبي ، في نظر حسين ، هو مؤلف القرآن وهو نفس ما يفهمه من قوله (ص ١٨٢) في تعليل مخالفته لمن يرون ان انكار الشعر الجاهلي يسىء الى القرآن ، لان القرآن ليس بحاجة الى شواهد من الشعر على الفائده ومعانيها عند العرب : « ان احدا لم ينكر عريية النبي فيما نعرف » ، فهو يرى في الاشارة الاخيرة ان القرآن هو كلام النبي ، وقوله (في ص ٧٢ — ٧٣) : انه يوجد « نوع آخر من تأثير الدين في انتحال » (يقصد : نحل) الشعر واضافته للجاهليين ، وهو ما يتصل بتعظيم شأن النبي من ناحية أسرته ونسبه في قريش ، فلأمر ما اقتنع الناس

(٤٣) المرجع السابق/ص ١٤٨ .

(٤٤) المرجع السابق/ص ١٤١ ، ١٥٠ .

(٤٥) كتب المرجوم الراجح بعد كلمة « انتحال » (كذا) . وقد لاحظت

ان مله حسين في وقت لاحق قد استبدل بهذه الكلمة الكلمة « نحل » .

إن النبي (٤٦) يجب أن يكون صفوة بنى هاشم وأن يكون بنو هاشم صفوة بنى عبد مناف ، وأن يكون بنو عبد مناف صفوة بنى هاشم ، ومضى صفوة عدنان ، وعدنان صفوة العرب ، والعرب صفوة الانسانية كلها « (٤٧) » فالرافعي يرى أن هذا تهكم واستهزاء بالحديث الصحيح التالي : « إن الله اصطفى بكثانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كثانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفاني من بنى هاشم » (٤٨) . ومثل هذا تكذيبه بوجود امرئ القيس مما يعد رفسا للحديث الصحيح الذي ورد بذكره « (٤٩) » ، وقوله « (ص ٥٥) » : « أن يزيد صورة صادقة لجدّه أبى سفيان في السخط على الاسلام وما سنه للناس من سنن » (٥٠) .

وبعد ، فهذا جل لا كل مارآه الرافعي رحمه الله مطعنا في ايمان طه حسين بالاسلام وكتابه ونبيه . والحقيقة أن من الصعب تهايا الدفاع عن طه حسين ، اللهم الا في بعض النقاط الفرعية التي لا تقدم ولا تؤخر في اتهام الرافعي له ، إذ قد يمكن القول مثلا انه حينما قال انه لا يعنيه هنا ان يكون القرآن قد تأثر بشعر أمية او لا لم يجوز الاحتمالين كما فهم الرافعي ، ولكنه قصد أن هذا

(٤٦) الملاحظ أن الأستاذ الرافعي عليه رحمة الله ، كان يصلى على النبي عليه الصلاة والسلام في كل مرة ذكر فيها في هذا النص ، مع أن الأصل خال من ذلك . وقد حذفت عبارة « صلى الله عليه وسلم » حتى لا يظن ظان أنها موجودة هكذا في الأصل فيكذب الرافعي فيها قائله من أن طه حسين لم يشنع اسم النبي مرة واحدة ولا بحرف (ص) .

(٤٧) تحت راية القرآن/ص ١٩٤ .

(٤٨) الموضع السابق .

(٤٩) تحت راية القرآن/ص ١٩٧ .

(٥٠) ص ٥٥ ، وقد لاحظت أن الرافعي قد روى كلام طه حسين هنا

بالمعنى . أما نص الكلام فهو : « وأما يزيد فقد كان صورة لجدّه أبى سفيان » كان رجل عصبية وقوة وفنك وسخط على الاسلام وما سنه للناس من سنن » (٥١) تحت راية القرآن/ص ٢١١ .

ليس موضع الرد على رأى كليمان هوار ولا أوانه ، لأنه مشغول فقط ببحثه في الشعر الجاهلي ، وإن كان هذا في الحقيقة لونا من التأويل المتعسف لكلامه . كما قد يمكن القول أن حكمه على أبي سفيان مثلا أنها هو رأى اجتهد فيه ، ومنها يكن قد أخطأ فيه فإن احسان القول في أبي سفيان ليس من دعائم الإسلام ، أو أن طه حسين إذا كان يرفض الحديث الشريف الذي ينص على افضلية الرسول وأسلانه فلا يراه غير صحيح رغم وروده في كتب الصحاح . ثم قد يقول المجادلون أن النبي عليه الصلاة والسلام لا يضره أن يكون إسلامه أو لا يكونوا أفضل البشر وهكذا . وقد نقبل جدلا كلامه في عهد الأمويين ، ولكن هل من السهل أن تخفى علينا نبرة الدهم في تناوله الحديث الذي يؤكد افضلية الرسول على جميع البشر ؟ وهل يليق بمسلم أن تكون هذه نظريته إلى الرجل الذي يؤمن بثبوته وما يعنى اصطفاء الله له للقيام بهذه الرسالة العظيمة التي لا يجتنب لها إلا الامأاذ الأخيار من البشر ؟

أيا ما يكن الأمر فما القول في رايه ان على من يريد دراسة الأدب العربي أن يتجرد من دينه ؟ ان هذا معناه شيء واحد هو أن الدين يناقض البحث العلمي ، فكيف يجمع طه حسين بين الإيمان بالإسلام والإيمان بمنهج البحث العلمي وهو يرى أنها متناقضان ؟ ان عليه أن يختار واحدا منهما مادام الأمر كذلك ، لأن من المستحيل ، إلا على ذى عقل مضطرب أو مريض بالتفصام في شخصيته ، أن يجمع بينهما .

ان طه حسين يعلن أنه في شكه في الشعر الجاهلي إنما يجسرى على منهج ديكرت . فكيف إذن تجاهل أحد القوانين المطربة التي رأى ديكرت أنها تعلو على كل شك ، ألا وهو « قالون عدم التناقض » ، الذي بمقتضاه لا يمكن أن « يكون » الشيء « ولا يكون » في الوقت نفسه ، بل إما أن « يكون » فقط أو « لا يكون » ؟ ان تطبيق هذا القانون على النقطة التي نحن بمسدها يستلزم أن يؤمن طه حسين إما بالدين أو بالمنهج العلمي مادام في رايه متعارضين (٥٢) .

أما قول طه حسين أن في كل منا شخصيتين متبايزتين : أحدهما عاقلة تبحث وتنقد وتحلل ، وتغير اليوم ما ذهبت إليه أمس ، والأخرى شاعرة تلذ وتالم وتفرح وتحزن وترضى وتغضب في غير نقد ولا بحث ولا تحليل ، وتساؤله : ما الذي يمنع أن تكون الشخصية الأولى عالمة باحثة ناقدة ، وأن تكون الثانية مؤمنة ديانة مطمئنة طامحة إلى المثل الأعلى ؟ مالك لا تدع للعلم حركته وتغيره ، وللدن ثباته واستقراره ؟ (٥٣) فهو مغالطات بهلوانية : فاولاً ، إذا كان هو يعتقد أن الدين يتميز بالثبات والاستقرار فكيف يطلب الباحث بإطراحه والتجرد عنه أثناء بحثه ؟ لقد كان أخرى به أن يعرف أن الدين أن بحث الأدب العربي لا يدخل في نطاق الدين ، ومن ثم فلم تكن به حاجة (لو كان فعلاً) يعني كلامه هذا الأخير إلى دموته المريبة تلك . وثانياً ، أنا لا أفهم العلاقة بين الرغسا والغضب واللذة والألم والفرح والحزن وبين الإيمان . أن الإيمان هو اقتناع بعقيدة وتشريع ما ، والاقتناع من شأن العقل لا من شأن المشاعر ، التي كما يصورها هو نفسه لا تستقر على حال ، مع أنه قال أن الدين يتميز بالثبات والاستقرار . أن الإسلام هو دين العقل لا التسليم الغلبي دونما فهم أو بحث أو اقتناع ، على عكس الأديان الأخرى ، التي يقع المؤمن بها فريسة للصراع بين عقله وعلمه وبين إيمانه وتسليمه ، هذا الصراع الذي يظل يورقه ولو في أعماق نفسه إذا حاول أن يكتنه هناك في تلك الأعماق المظلمة بعيداً عن وعيه ، أو يدفعه في نهاية الأمر إلى الكفر .

من هنا يرى الراجعي أن مغال طه حسين الذي اقتطف منه الراجعي ما سبق (وكان طه حسين قد نشره في « السياسة » تسويماً لموقفه وآرائه التي بثها في كتاب « في الشعر الجاهلي ») أنها هو تفسير وتعليل لكثرة بحجة العلم ، إذ « يريد أن يثبت فيه أنه من الممكن أن يكون مذهبا كاشرا أشد الكفر على اعتبار أنه عالم يبحث بعقله ، ثم لا يمنع ذلك أن يكون مؤمناً أقوى الإيمان في شعوره » (٥٤) ، كما يرى أن تسمية الشعور شخصية والعقل شخصية

(٥٣) انظر تحت راية القرآن/ص ٣٤٩ — ٣٥٠ .

(٥٤) المرجع السابق/ص ٣٥٠ — ٣٥١ .

أخرى معناه أن التسيان هو أيضا شخصية والذكر شخصية ، والإنسان
عدة شخصيات ، وأنه حين ينتقل من حالة إلى أخرى أننا ينتقل من شخصية
إلى غيرها ويصبح رجلا غير الذي كان ، بل يصبح كأن روحا تنبضه (٥٥) .
وكذلك يرى أنه لابد من التوفيق بين الدين والعلم فيما يختلفان عليه ، والا
كان أحدهما لفوا وعبثا (ص ٣٥٤) ، وهو ما قلناه من قبل . لقد كان على
طه حسين ، بدلا من اللف والدوران ، أن يحدد موقفه من الدين . وهو ما فعله
في نفس المقالة التي نحن بصددنا ، إذ قال : « ان العالم ينظر إلى الدين كما
ينظر إلى اللغة ، وكما ينظر إلى الفقه ، وكما ينظر إلى اللباس » ، من حيث
أن هذه الأشياء كلها ظواهر اجتماعية يحدثها وجود الجماعة وتقع الجماعة
في تطورها . واذن فالدين في نظر العلم الحديث ظاهرة كغيره من الظواهر
الاجتماعية ، لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحي ، وإنما خرج من الأرض
كما خرجت الجماعة نفسها ، وإن رأى دوركيم أن الجماعة تعبد نفسها ،
أو بعبارة أدق أنها تؤله نفسها (٥٦) .

بهذا يكون موقف طه حسين واضحا ، فهو لا يؤمن بالاسلام ، أن آمن
به ، على أنه دين سماوي أو حياه الله إلى نبيه محمد ، بل على أنه
اختراع بشري . واذن الرافعي لم يكن متجنبيا عليه قيد شعره حين
رماه بالكفر والالحاد . (وأحب أن أبادر هنا إلى القول أنني
لا أريد بهذا أن أسب طه حسين ، بل أنني فقط أبحث الأمر بحثا علميا) .
واذن أيضا فإن طه حسين حين أعلن من قبل في الخطاب الذي أرسله ، على
أثر الهجوم عليه بسبب كتابه ، إلى مدير الجامعة أحمد لطفى السيد (٥٧) أنه
مسلم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لم يكن يعنى
ما يقول (٥٨) ، فإن الإنسان لا يمكنه أبدا أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله

(٥٥) المرجع السابق/ص ٣٥١ .

(٥٦) المرجع السابق/ص ٣٤٨ — ٣٤٩ .

(٥٧) لفت نظري أن أسلوب هذا الخطاب يختلف عن أسلوب طه حسين
كما نعرفه ، فهل كتبه له لطفى السيد مثلا ؟ أنه به أشبه .

(٥٨) انظر تحت راية القرآن/ص ١٦٥ .

واليوم الآخر وهو في ذات الوقت لا يؤمن بوحى ولا بآله ، مادامت الجامعة انما تؤله نفسها وتعبد ذاتها في الحقيقة ، وما دام الدين لم ينزل من السماء وانما نبع من الأرض اختراعاً بشرياً(٥٩) .

أما قوله انه لم يعتمد في كتابه الخروج على الدين فهو خداع لا يجوز على العقول ، لانه اذا لم يكن وصف بعض قصص القرآن بأنها أساطير مخترعة لغايات سياسية والقول بأن المسلمين هم الذين ردوا الاسلام في خلاصته الى دين ابراهيم وغير ذلك مما سبق ان اوردها هو الخروج على الدين فانه لا يوجد إذن شيء اسمه الخروج على الدين .

أما تأكيد طه حسين في الخطاب الذي ارسله الى مدير الجامعة بأن دروسه في الجامعة خلت خلوا تاماً من التعرض للديانات ، « لاني اعرف ان الجامعة لم تنشأ لمثل هذا » ، فانا قد سبق ان قلنا اننا ليس تحت ايدينا

(٥٩) الغريب ان الاستاذ سامي الكيالي ، الذي روى عن انبؤوا طه حسين بسبب ما ورد في كتابه « في الشعر الجاهلي » في دينه بالرجعية والجبود هو نفسه الذي طبع ونشر لاسماعيل ادهم بحثاً بعنوان « طه حسين — دراسة وتحليل » (ط. مجلة الحديث/حطب/١٩٣٨) . وفي هذا البحث يمدح ادهم طه حسين واصفا اياه بالالحاد والثورة على الدين ، ويشير الى رايه هذا في الدين . والغريب كذلك ان هذا البحث قد نشر ايضا في عدد من مجلة « الحديث » التي كان يملكها سامي الكيالي ، وكان ذلك في نفس العام (عدد نيسان = ابريل) ، ولكن حذفت منه العبارات التي تتحدث عن الحاد طه حسين وثورته على الدين ونظيرته اليه كتناج بشرى ، ووضع مكانها نقط . ان هذا يبين حقيقة موقف ذلك الصحفي السوري واتنا ينبغي الا يخدمنا كلابه ، والا فكيف يكون وصف طه حسين بالالحاد من جانب اسماعيل ادهم جبيلاً ووصفه بذلك من شيوخ الازهر وعلماء مصر رجعية وتزمتا ؟ كذلك من اللائق للنظر ان الكيالي لم يورد ما قاله طه حسين في حق القرآن الا جملة واحدة ، وباليته اوردها كما هي ، فقد حصرها بما اذهب شناعتها، وقال انه قالها على سبيل الاستطراد . فتأمل مدى الامانة العلمية ! انظر كتابه « مع طه حسين » ج/٢١ ص ٥٦ وما بعدها .

ما يثبت أو ينفي ذلك . ولكن السؤال الذى يلج على ذهنه هو انه اذا كان لم يتعرض للأديان في محاضراته والكتاب مملوء بالتعرض للأديان ، والإسلام بالذات ، فما الذى كان يقوله في محاضراته ؟ على أن الدكتور طه حسين عاد عادلى لصحيفة « الأنتورماسيون » بالأتى : « قيل لهؤلاء البسطاء : انى اطعن في الاسلام ، فشهروا الحرب على جميعا . على انى أقول عاليا انه ليس في كتابى كلمة يمكن أن تؤول ضد الدين . والعبارة الوحيدة التى يمكن أن انتقد من أجلها تضع النصوص المقدسة بعيدة من قسوة المباحث التاريخية » (٦٠) . وهو كلام لا ظل له من الحقيقة كما بينا . وقد دفعت هذه المخادعة الأستاذ الرافعى لتكذيبه ووصفه بعدم الحياء والعناد والمكابرة والكذب والسخرية بعقل الأبله (٦١) .

(٦٠) تحت راية القرآن/ص ٢٤٢ .

(٦١) المرجع السابق/ص ٢٤٣ .

اتهام الراجعي لطله حسين في عقيدته

وبعد ان فرغنا من مناقشة ما قاله الراجعي في آراء طلّه حسين ننقل الى تحليل ما قاله فيه هو نفسه . وقد ذكرنا انه سماه « المبشر » ، وكناه « ابا مرجريت » و « ابا البرت » ، وقال ان سلطان زوجته عليه شديد . والحقيقة ان هذه الاتهامات ، برغم عدم تفصيل الراجعي القول فيها ، تشير من بعيد الى ما فكره كاتب (سكرتير) طلّه حسين بعد ذلك بعشرات السنين ، وهو غريد شحاتة النصراني (اقول : « النصراني حتى لا يتهم مثلما اتهم الراجعي وغيره بالرجعية والجمود) ، اذ كتب ان طلّه حسين قد تعمد لامتناق النصرانية في شبابه عند زواجه من زوجته الفرنسية وكان ذلك في كنيسة احدى القرى الفرنسية (٦٢) .

والحقيقة اننا جربا على المنهج الصارم الذي نتبعه في كتاباتنا لا نستطيع ان نجزم جزءا قاطعا بان هذا قد حدث ، فانه ليس بين ايدينا وثيقة مقطوع بصحتها تشهد على ما قاله كاتب طلّه حسين ، الذي عاشه في بيته وخارج بيته عشرات السنين واطلع منه على مالم يطلع عليه سواء ، وان كان هذا لا يمنع ان تظهر مثل هذه الوثيقة يوما ان صحت رواية الرجل . كذلك مان غريد شحاتة بالطبع لم يكن حاضرا طلقوس التعميد الذي يشير اليه ، فلم يكن غريد قد عرف الدكتور طلّه حين بعد آنذاك ، وان كان الحق يقتضي ان اذكر ان غريد هذا كان لصيقا بقلب الدكتور طلّه حسين قبل ان يتركه ، كما كان موضع اسراره الخطيرة لعشرات من السنين (ويمكن الرجوع في ذلك الى الحوار الذي اجراه محمد شلبي معه حول الدكتور طلّه حسين في كتابه « مع

(٦٢) انظر مقال أحمد حسين « العودة لطلّه حسين مفخرة مصر » /الثقافة/ العدد ٧٤ /نوفمبر ١٩٧٩/ ص ٤ ، وكذلك مقاله بعنوان « لقد حسمت القضية وتحدد موقف طلّه حسين في تاريخ مصر » /الثقافة/ العدد ٧٧ /فبراير ١٩٨٠/ ص ٨ - ٩ .

رواد الفكر والفن « وبخاصة ص/ ١٢٢) . ومع ذلك فهناك عدة ملاحظات لها دلالتها : زوجة طه حسين ، على رغم أنها لم تترك شيئا في حياة طه حسين الا ذكرته في كتابها الذي وضعته بعد وفاته عن حياتها معه ، ورغم حرصها على أن تدافع عنه هجوم من هاجبوه ، حتى في الأمور التي لا تحسنها كفضية الشعر الجاهلي مثلا ، لم تفتح فيها بكلمة واحدة تدفع به عنه هذا الاتهام ، مع أنها هي الوحيدة المتبقية (فيما اظن) ممن كانوا حاضرين هذا التعميد المشار اليه ، بل هي السبب فيه (أن كان قد حدث) ، باعتبار أن هذا كان شرطا لزواجه منها ، فما معنى عدم نفيها هذا لما قاله واحد من اقرب المقربين الى زوجها واليها ؟ ترى لو كان هذا اتهاما باطلا لكنت ستسكت عليه مهما كان تدينها وحبها لتصرايتها ورغبتها في أن تتكرر لدينها من الاتباع والمتحولين اليه من الديانات الأخرى ؟ ولكن لم لم تحاول أن تنفي هذه الدعوى بالباطل ، لو صحت أنها حقيقة ؟ أيمن أن نقول أنها خافت أن تكذبها سجلات تلك الكنيسة التي قال فريد شحاتة أن عبيد الأدب العربي قد تم تعميدهم فيها حينما يعن يوما لأحد الباحثين المهتمين بهذا الموضوع أن يطلع عليها أو ترى الدوائر المعنية في فرنسا أن تخرج هذه الوثيقة ، أن كان لها وجود ، وتذيعها على الناس عندما تقدر أنه قد حان الاوان لكشفها من أجل هذا الغرض أو ذاك ؟ تلك أسئلة لا يستطيع الباحث في الظروف الحالية أن يجيب عليها اجابة علمية قاطعة تشفى الغليل ، ولا يملك الا أن يقول : فلنتنظر !

على أن الباحث مع ذلك لا يمكنه أن يمر مرور الكرام على الحقائق التالية : أن زوجة طه حسين لم تكن تحبه حين قبلته زوجا . وليس هذا تخميننا منا ، فقد ذكرت هي هذا ذكرا صريحا في أكثر من موضع في كتابها (١٢) ، كما ذكر د. طه حسين قبلها ذلك بنفسه (١٤) ، وأن الذي حثها

(١٢) انظر سوزان طه حسين/معك/ص ١٠ ، ١٦ .
(١٤) الأيام ج/٢ ص ١٠٨ وما بعدها و ١١٨ ، وانظر أيضا مقالي أحمد حسين « لقد حسمت القضية وتحدد موقف طه حسين في تاريخ مصر » / في « الثقافة » / عدد فبراير ١٩٨٠ / ص ٩ - ١٠ ، وسأبلى الكيال / مع طه حسين ج/١ ص ٢٩ .

أو على الأقل شجعها على الزواج منه هو عمها القسيس الكاثوليكي (٦٥) (الذي كان طه حسين يقول عنه دائما انه أحب رجل الى نفسه ، والذي كان يرى فيه مظهرا اعلی ودليلا في الحياة) (٦٦) ومتى ؟ في الربع الأول من هذا القرن حين كان المد الاستعماري لبلاد المسلمين ولحصر في أوجه ، ونظرة الأوربيين لنا على أننا شمعوب من الهيج على أشدها ، وكراهيتهم لنا بوصفنا مسلمين في قمتها . اليس غريبا أن يجهد قسيس كاثوليكي فرنسي في العقد الثاني من هذا القرن جهده في انهاء زواج ابنة أخيه من شاب مسلم (يعني « كافر » من وجهة نظره) ، وترضى ابنة الأخ بهذا الشاب الذي لم يكن يتمتع بما تصبو اليه الفتيات عادة من غنى أو منزلة اجتماعية عالية أو وسادة أو أمانة ، ودعنا من انه كان كفيفا وكانت فرنسيته بالطبع في ذلك الوقت مكسرة بحيث كان من الصعب عليه ، حتى لو كان من أمهر الفزلين ، أن يستميل قلبها بالكلام الخيالي المنيق . كذلك فمن المهم أن نلاحظ أنها هي نفسها كانت ولا تزال شديدة التمسك بنصرانيتها ، أي أن افتراض لامبالاتها بكونها نصرانية وكونه مسلما (أي « كافرا » من وجهة نظرها) هو افتراض غير مقبول . وثمة أمر آخر أرى أن له مغزاه : لقد ذكر طه حسين انه حينما اتاه خطاب سوزان من قريتها في الجنوب الفرنسي (هذا الخطاب الذي كان علامة بينهما على انها رجعت عن رأيها في عدم إمكانها الزواج منه لأنها لا تحبه) سافر وحده الى هناك ، ولم يستمع لزملائه المصريين الذين صدوه عن الذهاب اشتاقا عليه (٦٧) . يعني أنه حين أعلنت خطبته على سوزان ، بل انشاء أشهر ذلك المسيف كله ، كان طه حسين وحده بين تلك الأسرة الفرنسية الكاثوليكية وفيها ذلك العم القسيس الذي عشت هذا الزواج (بل أغلب الظن انه كان وراء تغيير ابنة أخيه موقفها في مدى

(٦٥) انظر « معك » / ص ١٧ ، وسامى الكيالى / مع طه حسين ج ١ ، ص ٢٩ (نقلا عن روبر لاندرى الكاتب الفرنسي) .
(٦٦) معك / ص ١٧ .
(٦٧) الأيلام / ج ٣ / ص ١١٢ .

شهر !) . ويحاول زملاؤه أن يصدوه مشفقين عليه ، ولكنه يصر على موته . وقد كان له ما أراد ، فلم يحضر معه مصري ولا مسلم هذه الخطبة . ليس لهذه الوقائع دلالتها الخطيرة ؟ ونشير زوجة طه حسين إلى أن عمها القسيس ، الذي كان متحمسا لزواجها به على رغم نفورها منه ، قد اصطحب طه حسين ، حين زارهم في قريتهم في الجنوب الفرنسي ، ساعتين تجولا أثناءهما في الحقول وحدهما . بيد أنها لم تذكر لنا غيم تحدثا ، ولا ما الذي أخذه عليه العم القسيس من عهود قبل أن يعطيه ابنة أخيه . من هنا نمائنا من الوجهة التاريخية الموثقة نجد أنفسنا كلما اقتربنا من هذه المسألة نضطلم بالصمت . غاي نوع من الصمت هذا ؟ حتى الصحفي سامح كريم ، الذي ينقل ما كتبه الآخرون عن طه حسين ، عندما أتى إلى هذه النقطة أخذ يحوم حولها من غير أن يسميها ، مكتفيا بالحديث عن غريد شحاتة وبذكراته عن عمله مع طه حسين وغيظ هذا منه ووصفه آياه بـ « هذا الشيء الذي أسميه غريد شحاتة » ، كل ذلك من غير أن يعترف الغاريء الخالي الذهن علام يدور الكلام . وهو ما يجافي أمانة النقل (٢٧) .

كذلك فإن من الملاحظات الدالة المتصلة بتكنية الراحل للدكتور طه حسين « أبا مرجريت » و « وأبا البرت » أنني لا أذكر أنني قرأت في كتاب «معمك» للسيدة سوزان ما يشير قط إلى أنه كان يوجه أولاده توجيها إسلاميا . ولا أظن أن من السهل الجواب على ذلك بأنها كنهانانية لا يهمها أن تشير إلى ذلك ، فإن هذه الملاحظة تصدق أيضا على كتاب « الأيام » ، الذي كتبه هو وأفاض القول فيه عن كل شيء يتعلق به وبحياته .

ولعله يكون من المناسب هنا أن نشير إلى أن والدة طه حسين ، عندما أخذ طه زوجته إلى كوم أمبو ، بعد عودته من فرنسا ، للتعرف على أسرته هناك ، قد سألته أي نوع من التمييز يجب شراؤه من أجلها (٢٨) ؟ فإذا كان

(٢٨) انظر في رحلة الحقول هذه «معمك» ص/١٧ ، وبالنسبة لصمت سامح كريم عن الاتهام المذكور انظر « ماذا يبقى من طه حسين » / ص ١٢٤ — ١٢٥ .
(٢٩) معمك / ص ٣١ .

هذا هو موقف والدته من أم الكبار وهي شديدة سعيقية عجوز غير متعلمة وفوق ذلك طبعاً مسلمة ، ومتى ؟ في الربع الأول من القرن العشرين ، وكل ذلك من أجل خاطر العروس الواعدة (لاحظ أن كل ظروف والدته الدكتور طه حسين كان من شأنها أن تدفعها إلى الفرع الشديد من مجرد تصور دخول الخمر بيتها) إلا يساعدنا هذا في تخيل موقف طه حسين من أمر ذلك الزواج كله والضيعة التي كان عليه أن يدفعها في مقابلة وهو الذي كان مدلهما أشد التدله بهذا الزواج ، وفوق ذلك كان معجبا أشد الإعجاب بالحضارة الأوروبية واتصل بها في بلادها اتصالاً حميماً ؟

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، فإن المعروفة أن طه حسين كان يختار سكرتريه من النصارى ، فهل ينبغي أن نبر بهذه الحقيقة أيضاً دون أن نلفت إلى مغزاها ؟ لقد اشتغل توفيق شحاتة كاتباً وقارناً له ، ثم خلفه أخوه نريد ، إلى ذكر أن طه حسين قد تنصر قبل زواجه من سوزان زوجته ، التي لم تكن تحبه وكانت ترغب في بطلان أن تسمع منه كلمة « الحب » أو أن يتحدث معها مجرد حديث في موضوع الزواج أن أراد لزمالتهما وصداقتهما أن تستمر ، والتي غيرت رأيها فجأة بعد أن بصرها معها بزمالها الزواج من هذا الشاب الذي أطراه لها مؤكداً أنه سيتجاوزها باستمرار (٧٠) . وإن الباحث ليقسائل : يتجاوزها في ماذا ؟ وهناك غير الأخوين شحاتة سكرتيران آخران على شاكلتهم ، وهما البيريزان (أول سكرتريه) وسليم بشارة (آخرهم) فيما أعرف ، وإن كان هناك دكتور أزهرى قدر له أن يشتغل مع طه حسين فترة من الوقت فلفت انتباهه أن أسلوب حياته يجري على غير المألوف في البيوت المسلمة (٧١) .

(٧٠) انظر في هذه النقطة الأخيرة سامي الكيالي/مع طه حسين ج/١ ص ٢٨ - ٢٩ ، و « معك » لسوزان طه حسين/ص ١٧ .
(٧١) ذكر هذا د. زكريا البري في مقالة له بعنوان « الشيخ والاستاذ والدكتور والامام » /جريدة « النور » العدد ١١/٢٤٠ صفر ١٤٠٧ هـ (١٥ أكتوبر ١٩٨٦) .

والآن بعد أن رأينا هذه المسألة من كل جوانبها المتاحة فالتفتنا فنسأل : هل نما إلى الراجع في ذلك الوقت المبكر ما قاله فريد شحاتة بعد ذلك ؟ ولكن لماذا لم يذكر ذلك صراحة وهو الذي لم يكن يبالي ؟ بيد أن الملاحظ أنه لم يجمع في تسميته بـ « المبشر طه حسين » وتكثيته « أبا مرجريت » و « أبا البرت » ، فهل بلغه ذلك الأمر أو شيء منه ولكنه ، لسبب أو لآخر ، لم يذكره ؟ أن كان الجواب بالاثبات فمن ذا الذي بلغه يا ترى ؟ أن د. نجيب البهيتي يتحدث في مقدمة كتاب له صدر حديثا (المداخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربيين) عن أسرار أخرى تتعلق بأسرة سوزان وعملها في باريس ... الخ ، وهي أسرار أن كانت جديدة علينا نحن الآن فلا شك أن مبعوثي مصر في باريس في ذلك الوقت كانوا يعرفونها ، فهل نقل إلى الراجع سر تعميد طه حسين ، هذا السر الذي لا نستطيع من الوجهة التاريخية الوثيقة أن تجزم به ، واحد من هؤلاء المبعوثين ؟ الجواب طبعاً : لا نعرف .

ومما قاله الراجع رحمه الله في د. طه حسين اتهامه آياه كما رأينا بأنه أداة أوربية استعمارية . ويتصل بهذا أنه ينقل ، في كتابه « تحت راية القرآن » ، ما كتبه مجلة « الفتح » بعد شهرين من نشره مقالته « عصية طه علي الإسلام » ، وهي إحدى مقالاته التي انتقد فيها كتاب « في التسعير الجاهلي » ومؤلفه . ونص ما قالته « الفتح » هو : « ليقل لنا طه حسين كم يتقاضى من رجال التبشير ، أو بمباراة ادق : من رجال الدول الغربية من أجر على دعائته تلك لهم وعمله لصالحهم وجهاده من أجلهم هذا الجهاد الطويل العنيف الذي لا يرهب فيه أمة بأسرها . أن ذلك الأجر لابد أن يكون عظيماً جداً كما يتحدث به الناس في أنديةهم » (٧٢) ، كما سمي فرنسا وطن طه حسين الجديد (٧٣) . والواقع أن الباحث الذي يريد أن يحقق هذه المسألة يجد نفسه أمام عدة حقائق لا يستطيع ، إذا كان باحثاً أميناً ، أن

(٧٢) تحت راية القرآن/ص ١٢٥ — ١٩٦ .

(٧٣) المرجع السابق/ص ٣٧٠ .

بغفلها . وهذه الحقائق ، وكلها مستندة مما كتبه زوجة طه حسين وطه حسين نفسه ، هي : علاقة طه حسين الضيقة إلى حد مذهل بالأساتذة الأجانب في الجامعة ، حتى أنهم كانوا يجتمعون في بيته كل أسبوع مرة ، وذلك يوم الأحد (لاحظ !) . ومن هؤلاء الأساتذة الأجانب جريجوار واميل برهيه وجريدوروسكايف ولالاتد وساتيك (٧٤) . كما أنه هو الذي استقدم كازاتونا للتدريس في الجامعة ، مع أن طه حسين كان لا يزال في أول درجاته الجامعية حينذاك ، فمن أين له هذا الثقل الوظيفي والإداري في الجامعة ؟ ومن الذي كان يقف وراءه ؟ إن هذا الأستاذ كان هو المشرف على رسالة طه حسين في باريس ، وعندنا أتى إلى القاهرة كان طه حسين يزوره في كل يوم (٧٥) . ومن لا يعرف هذا المستشرق نخيله فقط إلى كتابه « محمد وانتهاء العالم في عقيدة الاسلام الأصلية » ليعرف آراءه السوداء في الاسلام وتبنيته ، الذي يتهمه بتلفيق القرآن ويتهم أصحابه بالعبث بنصه عندها اتضح أن ما قاله الرسول عليه السلام عن قرب قيام الساعة كان محض هراء ، فكان لابد ، في زعمه ، من زيادة بعض النصوص التي تبحو أثر هذه النبوءة الكاذبة . وقد حزن طه حسين لوفاته حزنا شديدا « (٧٦) » . وأشار إلى ذلك المرحوم الراحل بقوله أنه حين هلك كان طه حسين هو « ناديته » في مصر (٧٧) . أما برجليوث فإن طه حسين عندها ذهب إلى أكسفورد لحضور مؤتمر المستشرقين هناك (سنة ١٩٢٨) قد نزل هو وأسرته ضيفا عليه ، وقامت زوجته برعاية طفله المريض (٧٨) . لقد عاش كاتب هذه السطور مدة سنين في أكسفورد ، التي كان طالبا في جامعته يدرس للحصول على درجة

(٧٤) انظر « معك » ص ٧٤ — ٧٥ .

(٧٥) السابق/ص ٧٦ ، وانظر الأيام/ج ٣/ص ١٢١ ، وكذلك كتابي سلمح كريم/ص ٧٦ .

(٧٧) تحت راية القرآن/ص ٢٧٥ ، كما وصفه بحق بأنه « كذبونا »/ص ٢٩٤ .

(٧٨) معك/ص ٩١ .

(م ٣ — معركة الشعر الجاهلي)

الدكتوراه ، ويعترف جيدا كراهية الاساندة في هذه الجامعة ذات الاصل الدينى لكل ما هو مسلم واسلامى . ومرجليوث هذا بالذات من اشد المستشرقين بغضا للاسلام وكتابه وتبنيه . انه من هذه الناحية يأتى هو ولا مانس في المقدمة . ومن يرغب في ان يأخذ فكرة عن هذه البغض القتال فليرجع فقط الى كتابه « محمد وظهور الاسلام » ، الذى يأخذ فيه جانب وتبني مكة في كل موقف حتى في تعذيبهم للمسلمين ، ويأخذ دائما جانب اليهود ، الذين تأمروا على قتل نبينا وارادوا ان يدمروا الاسلام تدميرا نهائيا ، والذين حمل عليهم مرجليوث حملة شعواء لانهم لم يحكموا امرهم جيدا ويتعاونوا على رسولنا ويتخلصوا منه بدلا من تخلصه هو منهم . لقد وصف هذا الرجل الوقح نبينا عليه افضل الصلوة والسلام بأنه « شيخ منسرب - a robber chief » (٧٩) ، وكان يرى انه يتبغى الا نغير اقواله عليه السلام كبير ثقة (٨٠) . كما قال عن ابي عابر الراهب ، هذا العميل البيزنطى الحاقد على رسوله الله ﷺ وعلى نجاح دينه والذى بنى له المنافقون مسجدا في احد اطراف المدينة بعيدا عن ميون المسلمين المخلصين ليلتقوا به فيه لحبك المؤامرات ضد الاسلام وتبنيه واتباعه (٨١) ، انه كان عنده قيل هجرة الرسول الى يثرب ميل الى اصلاح الدين ، بيد ان القليل الذى خبره من محمد بعد هجرته الى هذه المدينة قد ائتمعه بأفضلية الوثنية (٨٢) . وغير ذلك مما يعج به السكتاب من اقوال شنيعة لا تحترم حقائق التاريخ ولا تلقى وزنا للقيم الانسانية النبيلة التى ارساها محمد عليه الصلوة والسلام وكان احسن من استمسك بها .

ومن كانت له علاقة حميمة بالدكتور طه حسين المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون ، الذى كان يبدي اهتماما شديدا به في ازماته التى كان

(٧٩) ص ٢٣٨ Mohammed and the rise of Islam وهذا الكتاب يتضمن بذرة رأى مرجليوث في الشعر الجاهلى ، وذلك في ص ٦٠ مما سنعود اليه بعد ذلك .

بشيرها، والذي عرض عليه ذات مرة وظيفة في الولايات المتحدة الأمريكية (٨٢) ، وكان شديد الاحتفاء بابنته مؤنس أثناء دراسته بباريس ، اذ كان يأخذه بعد خروجهما من محاضراته التي كان يحضرها مؤنس ، فيمشيان معا ، ويستعلم منه « باعتباري ودي عن كل ما يتسوم به طه من عمل او يخطط للقيام به » (٨٣) . وباسينيون هذا من اعمدة الاستعمار الفرنسي في الشرق الاسلامي العربي . وقد تحدث عن دوره هذا الصلبي اللبني (النصراني) اسكندر الريباشي في كتابه « رؤساء لبنان » ، فتراجمه من يشاء . واتنا لتتسائل : ما سر هذا الاهتمام الزائد من جانب ماسينيون الاستعماري وبذاته بطله حسين ؟ لعل ما يلقي بصيصا من الضوء على جواب هذا السؤال ان طه حسين كان يشغل أثناء الحرب العالمية الثانية مرقبا لاذاعة فرنسا الحرة التي كانت تبث برامجها من دار الاذاعة المصرية . كما انه قد استقبل الجنرال ديغول حين مجيئه الى القاهرة في ابريل ١٩٤١ (٨٤) .

وعن صداقته الحميمة لبلاشير يمكنك ان ترجع الى ما كتبه السيدة زوجته (٨٥) . وبلاشير هذا هو الذي عبث بايات القرآن تقطيعا وتقدسيا وتأخيرا ، وبلغت به الجراة ان خطا القرآن نحويا واسلوبيا مرات كثيرة ، وتعبد تشويه كتابنا المقدس بتفسيرات لا يمكن ان تخطر الا في خيال مريض يهذى ، كقوله مثلا (مع كابتاني وشبرنجر) ان « جنية الماوى » هي فيلا بضواحي مكة وان سكرة المنتهى « شجرة هناك » .

(٨٠) السابق/ص ٢٦٣ .

(٨١) انظر في سيرة هذا الرجل ورفض ابنه له كتابنا « مصدر القرآن - دراسة في الاعجاز النفسى »/ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٨٢) انظر كتاب مرجليوت السالف الذكر/ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

(٨٣) معك/ص ١٠١ .

(٨٤) معك/ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٨٥) السابق/ص ١٣٩ .

(٨٦) السابق/ص ٢٥٦ .

ومن اهتمام المستشرقين والدوائر العلمية الأوروبية بطله حسين أن نلینو مثلاً في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد بإيطاليا أثناء الحكم الفاشي قد تنازل له عن رئاسة القسم الذي كان يرأسه ، وهو ، كما تقول زوجة طه حسين ، مالم يحدث قط (٨٨) ، وأن الدكتوراهات الفخرية قد أعفقت عليه اغداقاً من الجامعات الأوروبية على اختلافها (٨٩) . أن الصحفي السوري ساسي الكيالي المعجب بطله حسين وباتجاهه الدائم إلى قبلة أوربا أعجاباً أعمى يشير بفخر إلى هذا الاهتمام الزائد من جانب الجامعات الأوروبية بطله حسين (٩٠) ، مع أن هذا الاهتمام هو دليل على أن الرافعي لم يكن يلقي الكلام على عواهنه حينما وصفه بأنه أداة أوروبية ، والأفيا هذا الاحتفاء الغريب المريب بطله حسين من دون المفكرين والأدباء العرب الذين كانوا معاصرين له ؟ أعقمت بلاد المسلمين والعرب ومصر فلم تلد إلا طه حسين ؟ أن هؤلاء المحتفين بطله حسين هم أنفسهم الذين ييفضوننا وييفضون ديننا ولغتنا ، وهم الذين استعمرونا وأذاقونا كأس المذلة مفرعة ونهبوا بلادنا وقتلوا آبائنا ، واقتطعوا من جسدنا وروحنا فلسطين وأعطوها لليهود ،

(٨٧) انظر Le Coran ترجمة بلاشير/ص ٥٦٠ - ٥٦١ هـ/١٤١٤ . وانظر في هذا الموضوع دراستنا المفصلة عن ترجمته للقرآن إلى الفرنسية ، وذلك في كتابنا « المستشرقون والقرآن » / ص ٧١ - ١١٧ . ومن المضحك ، بالمناسبة ، أن يبلغ التحميس أحد القسوس المصريين ، وهو كمال ثابت قلته (في رسالته للماجستير عن طه حسين) « أن يهاجم ، وهو رجل الدين النصراني ، شيوخ الأزهر ويتهبهم بالرجعية وأسيا إياهم بأنهم لم يفهموا الإسلام كما فهمه طه حسين . الحمد لله الذي جعل هذه القس يفهم الإسلام ويقوم بدور القاضي بين مشايخ الأزهر وطه حسين ، ويصدر هذا الحكم المهذب العادل . انظر كتابه « طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه » ص/٩٠ - ٩٢ .

(٨٨) معك/ ١٢٢ .

(٨٩) انظر مثلاً ص ١٦٢ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ٢٥١ من كتاب

« معك » للسيدة زوجته .

(٩٠) مع طه حسين/ ج ١/ ص ١٢٢ - ١٢٤ .

الذين ساعدتهم طه حسين على التجاسة بجلدهم عند اقتراب الامسان من العلمين ، وهم الذين يعطون اسرائيل الرجال والمال والسلاح ليذبحونا . فهل يمكن ان يحتفى هؤلاء بواحد منا لو راوا انه نافع لامته ؟ ان عندنا والحمد لله عقولا تفكر .

ومن مظاهر اهتمام المستشرقين بطه حسين ان بعضهم ، حيثما ابعاد عن الجامعة ، قد اعلنوا اسفهم الشديد وهاجموا المسؤولين عن ذلك وعدوا طه حسين من المناضلين من اجل حرية الفكر . واطعن برجستراسه ، وكان ايلها استاذ بالجامعة المصرية ، انه لن يعود الى الجامعة الا اذا عاد اليها طه حسين (٩١) . هذا كله مع ان مئات الاساتذة المسلمين يفصلون ويسجنون ويقتلون في انحاء العالم الاسلامي كله ولم نسمع من احد من هؤلاء المستشرقين ولو كلية مجاملة من باب ذر الرماد في العيون . واحب الا يفهمي احد خطأ فيظن اننى مع اضطهاد الفكر ، ولكنى فقط اتسائل عن سر هذا الاهتمام الغريب بطه حسين وامثاله . هذا ، وسوف اعالج قضية حرية الفكر بعد قليل .

فاذا عدنا الى الراعى وانهائه لطه حسين وجدنا ان من الصعب ان نرى الراعى بالتجنس وارسال القول على عواهنه . ومن المؤكد ان الراعى كان يعرف عن طبيعة علاقات طه حسين بالمستشرقين ورجال الدين والسياسة الغربيين (٩٢) الشيء الكثير ، بحكم المعاصرة ، وبحكم اهتمامه بقضايا الادب والتاريخ العربى والاسلامى ، وبحكم اتصاله في ذلك الوقت بالبيئات الثقافية النشطة واقتطاب الفكر والادب والنهضة الاسلامية ، بحكم وجود الاستعمار البريطانى على ارضنا مما يشجع من لهم علاقة بدوائر الغرب

(٩١) انظر معك/ص ١٠٩ — ١١٠ .

(٩٢) انظر انظر في بعض هذه العلاقات/ص ١٦٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٢٦ .

السياسية والعلمية على عدم الاستتار بهذه العلاقات ، على الأثر . هذا ،
ودعنا من رحلته التي قام بها الى فلسطين وزار فيها الجامعة العبرية (سنة
١٩٢٧) (٩٣) ، تلك الجامعة التي بذل طه حسين جهوده (المشكورة) حتى
نجح في تذليل الاعتراض الذي ابداه رجال البعثات في مصر على ذهاب طالب
اليها (٩٤) . وكذلك دعنا من اشرافه على مجلة « الكاتب المصري » اليهودية ،
وتسهيله لاصدقائه من اليهود الخروج من مصر عند اقتراب الامسان من
العلمين (٩٥) .

(٩٣) معك/ص ٨٣ .

(٩٤) السابق/ص ١٨٦ .

(٩٥) معك/ص ١٤٠ . ولعل من الطريف ان تشير الى ما ذكرته السيدة
سوزان في هذا الكتاب من ان اخت وأم أحد الشبان من الاخوان المسلمين، وكان
قد حكم عليه ضمن آخرين مثله بالاعدام لارتكابهم جرائم قتل (!) وذلك في
عهد عبد الناصر ، الحنا عليه ان يتدخل لاتقاذه . ولكنه لم يفعل بطبيعة
الحال ، ربما لانهم لم يكونوا يهودا . ومع ذلك فهذه القصة غير مقنعة ، اذ
لا اظن ان سمعة طه حسين بين الاخوان المسلمين واسرهم كانت تشجعهم
على ان يروجوا لتحقيق هذا الطلب على يديه ، وهو الذي هاجبهم اشد
هجوم في بعض ما كتب . علاوة على انني لا اعرف ان الاخوان المسلمين قد
ارتكبوا جرائم قتل في عهد عبد الناصر (لاحظ التعبير : « جرائم قتل ») ، وقد
كانت تستطوع ان تسمى ذلك ، بفرض صحته ، « اغتيالات سياسية » (:)
في النهاية فاني لا اعرف لم لم تذكر السيدة الكاتبة اسم هذا الشاب . انني
الظن ان مثل هذا الشاب واه وأخته ليس لهم وجود :

حرية الفكر

وبعد أن مررنا من مناقشة رأى الراعى فى طه حسين ننقل الى قضية الحرية الفكر . وقد سبق أن رأينا الراعى يعلن أنه لا يشاح فى حرية الفكر ولكن المشاحة فى حرية الجيل والكفر . ومن هنا نجده يدعو الى إبعاد طه حسين عن الجامعة وحماية النشر من أفكاره (٩٦) ، ويهاجم القانون الخاص بعدم عزل أى استاذ جامعى ، ويرى أن المقصود به طه حسين (٩٧) . ويادى ذى بدء أعلن اتى مع حرية الفكر ، أى اتنى لست من انصار محاكمة الناس ومعاقتهم على عقائدهم المخالفة لما تؤمن نحن به . فما دبت لا أقبل من أحد أن يتدخل بينى وبين ربي سبحانه ويسمى مجبرنى على تغيير معتقدى ، فكذلك لا أقبل بل لا أفكر مجرد تفكير أن أفسر أحدا على تغيير ما يعتقده ، أو أطالب بمعاقبته على ما يؤمن به ، بيد أن هذا شيء والسكوت على ما نعتقد مخلصين أنه خطأ شيء آخر ، على أن يكون الرد على الكلام بكلام مثله . ومن ثمة نمائى أقدر الجهود العلمية المخلصة التى بذلها هؤلاء العلماء والنقاد الذين ردوا على آراء طه حسين وبينوا ما فيها من تهافت وعوار ، ولا أجد أية غشاشة فى تناولهم لموقفه من الدين وحكمهم عليه الحكم الذى يرتضيه المنطق والمستند الى نص ما قاله الدكتور دون تعسف أو لى للكلم عن مواضعه . ولكنى برغم تقديرى لهذه الجهود وموافقتى على الحكم الذى أصدره هؤلاء الكتاب عليه لا أقر مطالبة البعض بمحاكمته ولا المحاكمة نفسها . أن طه حسين أديب وكاتب ، وأذن فينبغى أن يقتصر التصدى له على أمثاله من الكتاب والأدباء . وفكرة تفرع فكرة ، فى جدال طبيعى حر . لما النيابة العامة فيما دخلها هنا ؟ (طبعاً ، إلا اذا ثبت أن هناك تأمراً ، فهذا شيء آخر) . وحتى يكون كلامى واضحاً أحب أن أسأل من يخالفنى فى

(٩٦) انظر تحت راية القرآن/ص ١٨٨ ، ٣٠٦ ، ٣١٤ .

(٩٧) ص/١١٣ - ١١٤ .

هذا الرأي عن موقفه لو أن الحكومة في دولة غير مسلمة حجرت على كاتب مسلم من رعاياها أن يدعو إلى ما يخالف عقيدة الدولة أو نظامها السياسي ، أو عاقبت أحد مواطنيها لخروجه عن دين أمته ودخوله في الإسلام ؟ لقد كان المسلمون في المدينة على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام يتمتعون بحرية القول إلى حد مدهل . ألم يحدثنا القرآن الكريم أن من بين أهل الكتاب طائفة كانت تتواصى بإعلان الإسلام في أول النهار والارتداد إلى الكفر في آخره (٩٨) ؟ هل سمع أحد أن رسول الرحمة عليه صلوات الله وسلامه قد أكره أحدا من هؤلاء على الرجوع إلى الإسلام أو عاقبه ؟ والمنافقون ، ألم يكونوا لا يكونون من نقد الرسول عليه السلام والمسلمين واستعمال كلام جارح في حقهم أحيانا ؟ أو لم ينزل القرآن معلنا أن هؤلاء النفر منهم أو أولئك قد كفروا بالله بعد أن أسلموا (٩٩) ؟ هل قرأ أحد نبي البر قد فكر مجرد تفكير في معاقبتهم ؟ أن الملاحظ أن القرآن في موضعين من المواضع التي تحدث فيها عن بعض من يدخل الإسلام ثم يعود فيكفر به تد بين بأجلى بيان أن الإيمان بالله هو فضل منه سبحانه يؤتبه من يشاء (١٠٠) . ومعنى ذلك أن الذي يخرج من الإسلام إنما يحرم نفسه من فضل وخير كثير ، فهل سنكون نحن أرغق به وأحرص على محصره من نفسه ؟

أقول هذا وإمامي ملان : الأول الشيخ محمد عرفة وكيل كلية الشريعة سابقا ، فقد أعلن في مقدمة كتابه الذي نقض به مطاعن مله حسين في القرآن أنه سيجادله بالمنطق ولن يلجأ إلى القول بأن هذا القرآن مقدس لا يليق أن يطعن فيه هذا الطعن (١) . بل أنه رأى أن فصل الدكتور مله من الجامعة (يقصد سنة ١٩٣٢ في عهد صدقي ، بسبب ما كان قد قاله في القرآن قبل

(٩٨) آل عمران/٧٢ - ٧٤ .

(٩٩) التوبة/٤٩ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٥ - ٩٧ .

١٠٨ ، ١١٠ .

(١٠٠) آل عمران/٧٢ - ٧٤ ، والمائدة/٥٤ .

(١) انظر كتابه « نقض مطاعن في القرآن الكريم » ص ١٢ .

ذلك» قد يفسره النفس على أنه عجز من أولى الأمر عن أن يهدموا رأيه بالحجة فلذلك عبدوا إلى القوة ، التي هي في رأيه غير نافعة في هدم رأى أو دحض مذهب (٢) ، وأن كنت أخالفه في تخرجه من أن يضم ما فيه مخالفة للدين وكثر به من تسميته باسمه (٣) مادام الاتمسك لا يأخذ بالشبهة ولا يحجر واسعا بل يقتصر في ذلك على ما لا يحتل تأويلا بحيث لا يمكن أن يعنى إلا الكفر . ومع ذلك فإن الشيخ لم يتباك قلبه أن يفلت منه اتهام المطاعن التي وجهت إلى القرآن بأنها الحاد بلبس لبوس العلم (٤) . والمثل الثاني هو الشيخ عبد المتعال الصعيدي ، فقد كان من الذين ردوا على آراء طه حسين العاجزة المتداعية ، ومع ذلك فإن له في الدفاع عن حرية الاعتقاد والتفكير وتوضيح الموقف العظيم للإسلام منها عدة بحوث (٥) بين فيها أن الإكراه لا يؤدي إلى شيء وأنه ليس من الإسلام . وهو كلام مقترن حكيم . وعندنا الدكتور طه حسين : هل نجحت محاكمته أو حتى فصله من الجامعة بعد ذلك في أن تغير آراءه ؟ لقد أعلن أنه مسلم يؤمن بالله وبلانكته ورسله وكتبه واليوم الآخر ، ثم وجدناه يعلن بعد ذلك أن الدين هو اختراع بشري ، وأن الجماعة باعتقادها في الألوهية إنما تعبد نفسها ... الخ . كما رأينا أيضا يكتب كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » فيسلخ مصر عن الشرق العربي والإسلامي جيلة ويلحقها بأوروبا ، وهكذا . ولعل القارئ لاحظ أنه لم يذكر هنا ما نسب إليه من آراء عن المكى والمدنى في القرآن وفواتح السور ذكر بعض من حاجبوه أنه أملاها على الطلبة في الجامعة سنة ١٩٢٧ ، وهي آراء لا تقل خطرا عما ورد في كتابه « في الشعر الجاهلي » . وسبب اغفالي

(٢) ص/٩ .

(٣) انظر ص/١٢ .

(٤) انظر ص/٤٣ .

(٥) انظر كتبه : « مع زعيم الأدب العربي في القرن العشرين » و « الحسرية الدينية في الإسلام » و « حرية الفكر في الإسلام » و فصل « الإسلام وحرية البحث » (ص/٦٤ - ٩٠ من كتابه « دراسات إسلامية » .

لها أن طه حسين قد ذكر أنه لم يفعل شيئاً أكثر من عرضه لآراء المستشرقين في هذا الموضوع لا آراءه هو . ولما كانت هذه الآراء غير مثبتة في كتاب من كتبه فقد سكنت عنها ، على اعتبار أنه لا يوجد دليل موثق على أنها له ، وأن كنت لا استبعد بل أرجح صدورها منه وبخاصة أن أسماعيل أدهم ، الذي كان معجبا بطه حسين وكتب عنه بحثاً يمدحه فيه قد أسند هذا الكلام إليه ، بناء على ما رجح إليه من المذكرات التي أملاها طه حسين على طلبته (٦) . وفي المقابل نجد الأستاذ العقاد ، وهو الوفدي الوحيد الذي دافع عن طه حسين في البرلمان وخارجه (٧) ، يعود فيرد على نظرية الشك في الشعر الجاهلي رداً بقصص (٨) . ومع أن أحد لم يحاكمه على آرائه الجريئة في الدين في أول حياته (٩) فإنه قد أنتج بعد ذلك كتباً عدة في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وعظماة الصحابة ومحاسن الإسلام تخاطب العقل قل أن يوجد لها نظير في قوة البرهان وصلابته ورسالة الأسلوب وحلاوته . ومثله في ذلك الدكتور محمد حسين هيكل ، فقد رجح عن موقفه الأول من الإسلام وأصدر كتاباً في السيرة النبوية من أجل ما كتب عنها ، بالإضافة إلى كتبه عن

(٦) انظر في ذلك الشيخ محمد أحمد عرفة/نقض مطاعن في القرآن الكريم/ص ٤ - ٨ ، ١٢ - ١٥ ، وطه حسين/حديث المساء/ص ٤ - ٦ ، وإسماعيل أدهم/طه حسين - درس وتحليل . وقد أشار الراحل إلى نية طه حسين في درس القرآن من هذه الزاوية قبل أن يفعل طه حسين ذلك . انظر تحت راية القرآن/ص ٣٠٨ .

(٧) انظر في ذلك/نعمات فؤاد/قيم أدبية/ص ١٤٨ ، و « حديث المساء » لطله حسين ص ٨ ، ١٢ ، وسامى الكيالي/مع طه حسين/ج ٢/ص ٨٧ .
(٨) انظر كتابه/مطلع النور أو طوائف البعثة المحمدية/ص ٦١ - ٨٥ .
(٩) انظر في ذلك فتحي رضوان/عصر ورجال/ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .
والمهودة عليه ، فإنه لا أذكر اثنين قرأت للعقاد ، على كثرة ما قرأت له ، شيئاً شبيهاً بهذا .

أبي بكر وعمر والحكومة الإسلامية وغيرها . كل ذلك من غير ضغط ولا قسر .
 ان الإسلام لن يكسب باكره أحد خرج منه على العودة إليه ، فالأكره ان
 صح مع الجهاد لا يصح في الحب والكره ولا في العقائد والآراء . وهو لا يصنع
 مسلماً بل يزيد المنافقين الذين يعملون على تقويض الإسلام من داخله
 واحداً . ولخير لنا نحن المسلمين ان نعترف للمحدثين والكفرة بأعيانهم من
 ان تنخدع في اعلاّتهم الإسلام تقية وخداً . والإسلام طاهر نظيف ، ولا يقبل
 الا المأهرين الأتقياء (١٠) . ذلك ، وقد صودر كتاب « في الشعر الجاهلي » ،
 فهل اختفت الآراء التي وردت فيه ؟ اليس من الطريف ان كتاب الراعي
 رحمه الله وكذلك كتب الفيروزين على دينهم الذين نقضوا الآراء الواردة في
 في ذلك الكتاب قد تكلمت ولا تزال ينشر هذه الآراء بنصها كما هي في الكتاب
 المصادر ؟ اي انك قد تطرد الفكرة من الباب وتلتفت فاذا بها قد عانت من
 الشبك . أرجو ان يكون القارئ بذلك قد رأى قضية حرية الفكر في وضعها
 الصحيح .

بيد ان هذاجانب واحد من الامر ، على حين ان الجانب الثاني هو ان
 حرية الفكر يجب ان تكون شاملة ينعم بها كل الأطراف لا ان تقتصر على
 طرف دون الآخر . مثلاً ، ما معنى النص في عقد انضمام الجامعة القديمة
 الى الجامعة التي كانت الحكومة تزعم انشاءها على ان يكون طه حسين
 استاذاً في هذه الجامعة الجديدة ؟ (كان ذلك في سنة ١٩٢٢ م) .

(١٠) انظر كتابي/ تفسير سورة المائدة/ ص ٩٤ (عند تفسير الآية/ ٥٤
 من هذه السورة) ، وكذلك كتابي/ تفسير سورة التوبة (عند تفسير
 الآيات/ ٥٨ ، ٦١ ، ٨٠ / ص ١٠٥ ، ١١٧ ، ١٤٥ ، ١٤٦) .
 (١١) انظر أحمد لطفى السيد/ قصة حياتي/ ص ١٧٥ وكذلك ص ١٧٩ .
 حيث يعلل هذا الشرط بأنه راجع لحالة الدكتور طه حسين الشخصية .
 وهو تعليل متهافت يستتر خلف هذا الاعتبار الانساني الذي لا ندري لماذا
 لم يطبق مع غير طه حسين في كل المصالح الحكومية في انحاء القطر كله .
 وانظر كذلك د. حسين فوزي النجار / أحمد لطفى السيد استاذ الجيل /
 ص ٢٧١ ، ٢٧٨ و د. نعمات مؤاد / قم ادبية / ص ٢٤ .

ولما ضمت الجامعة المصرية الى وزارة المعارف سنة ١٩٢٥ في عهد حكومة
الاحرار الدستوريين^(١٢) ، الذين وقف طه حسين قلبه على الدعاية لهم ،
انضم معها طه حسين اليها^(١٣) ، فما دلالة ذلك ؟ وما مغزاه ؟ ولم كل هذا
التحويط على طه حسين بالذات ؟ لقد لفت هذا الامر المرحوم مصطفى صادق
الرافعي واثار ارتيابه ، فقال : « كنا والله نرتاب في ان الجامعة المصرية
مدرسة الحاد ، وان طه حسين ما اخذ لها دن سواه ممن كانوا في الجامعة

(١٢) وهو امتداد لحزب الامة ، حزب لطفي السيد ، الذي انفق صدى
حياته في المناداة باستقلال مصر عن تركيا ، مع ان تبعية مصر لتركيا لم يعد
لها آنذاك وجود في الواقع ، وانما كانت بلواها هي الاحتلال الانجليزي ،
الذي كان لطفي السيد حبيبا لعميده كرومر . ولطفي السيد هذا الذي كان
يخرس المصريين على عدم مساعدة اخوانهم الليبيين المسلمين ضد العدوان
الاطالي ، على حين نظم عقود المديح في كرومر (الطاغية الانجليزية النصراني
الذي اساء الى الاسلام والمسلمين باعماله وكتابات) وبخاصة عند توديعه
عشية تذهابه من مصر في ستين داعية بجهود الزعيم الوطني السب الذي
المخلص مصطفى كامل بعد مجزرة دنشواي ، التي اوقعها كرومر هذا
بافلاحين المصريين المستضعفين ، على ما هو معروف . انظر في كراهية
كرومر لنا الفصلين اللذين عقدهما للاسلام والمسلمين في مصر ، في كتابه
Modern Egypt ج ٢ / ص ١٢٣ — ٢٠٠ ، لترى بغضه السام لنا ولديننا
وعلمائنا . كما ان لطفي السيد هذا هو الذي كان يقف دائما للدفاع عن طه
حسين وآرائه . انظر في موافق لطفي السيد هذه د. حسين فوزي النجار/
احمد لطفي السيد استاذ الجيل / ص ١٢٥ — ١٤٩ ، ١٨٦ —
١٨٨ ، ١٩١ — ١٩٢ ، وكذلك كتاب احمد لطفي السيد / قصة
حياتي/ ص ٤٩ — ٧٧ وكذلك كلامه عن كرومر والانجليز في الجز الاول من
كتاب « المنتخبات » ود. محمد محمد حسين/الاتجاهات الوطنية في الادب
العربي المعاصر/ ج ١ / ص ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٥ — ٨٦ ، ٨٨ — ٩٠ . ود. محمد
حسين هيكل/مذكرات في السياسة المصرية/ ج ١ / ص ٤٩ — ٥٠ . وانظر نص
ما قاله في توديع كرومر في « الجريدة » ١٩٠٧/٤/٣٠ .
(١٣) انظر محمد سعيد العربيان/حياة الرافعي/ ص ١٥٤ .

القديسة الا لهذه العلة فيه لانه اقوم بها واقدر عليها « (١٤) . وكان رايه ان الجامعة حينما فكرت في اصدار تاتون يمنع اساتذتها من الفصل فقد كان الهدف من ذلك حماية طه حسين بالذات (١٥) .

ويتصل بهذا ان طه حسين حين اصدر كتابه « في الشعر الجاهلي » قدمه بهذه الكلمات لرئيس الوزارة في ذلك الحين عبد الخالق ثروت :

الى حضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا .

سيدي صاحب الدولة .

كنت قبل اليوم اكتب في السياسة ، وكنت اجسد في ذكرك والاشادة بفنك راحة نفس تحب الحق ، ورضا ضمير يجب الوفاء .

وقد انصرفت عن السياسة وفرغت للجامعة ، واذا انا اراك في مجلسها كما كنت اراك من قبل قوى الروح ، ذكي القلب ، بعيد النظر ، موافقا في تأييد المصالح العملية توبيخك في تأييد المصالح السياسية .

فهل تاذن في ان اقدم اليك هذا الكتاب مع النحية الخالصة والاجلال العظيم .

ان الكتاب كتاب في النقد الادبي ، فما دخل رئيس الوزراء فيه ؟ ومتى كانت كتب النقد الادبي تقدم لرؤساء الحكومات ؟ ولاحظ قوله « سيدي » ! ثم عبارات الغزل الولهي هذه في قوة روح ثروت باشا وذكاء قلبه وبعد نظره (وبالذات بعد نظره) ، وهذه الاشارة الى تأييده للمصالح العملية ، الا يشم فيها القاري رائحة معينة ؟ اننا نسال : لماذا هذا التحكك والتحيك برئيس الحكومة في مقدمة هذا الكتاب بالذات ؟ اهذا صنيع من يؤمنون حقا بحرية الفكر ام صنيع من يؤمنون بحرية فكرهم هم وحدهم ، ويحتمون باصحاب السلطان حتى يتفوا بالمرصاد لمن يريدون عليهم ؟ كنت احب ان يدع

(١٤) تحت راية القرآن/ص ١١٢ ، ٢٥٧ .

(١٥) تحت راية القرآن/ص ١١٤/ ١ هـ .

الدكتور طه كتابه يأخذ مجراه في الهواء المطلق خارج هذه « الصوبة » .
لقد رأى الفارئ ادافع عن حرية الفكر ، ولكن حرية الفكر ينبغي ، كما قلت ،
أن تتمتع بها كل الأطراف . أما الاستنثار خلف السلطة فانتهاك لهذه الحرية
وخيانة لها . وأنا اذن مع الراعى في تأكيد ان الحق لا يبحث عن حمية بل
يصمد للنقد لأنه قوى بذاته (١٦) ، لكنى لست معه في الدعوة الى فصل طه
حسين من الجامعة . غير ان الانصاف يقتضينا أن نوضح أن سبب ثورته
العامة هذه هو رؤيته ايدى خلفية قوية تسند طه حسين وحده وآراءه .

كذلك فان حرية الفكر ، لو ان المسؤولين في الجامعة الذين كانوا
يتشدقون بها في ذلك الحين كانوا صادقين ، كانت تستلزم ان تمثل التيارات
الفكرية جميعها في الجامعة بنسبتها الحقيقية . اما ان يستجلب للجامعة
المستشرقون اعداء ديننا ويحصر من التدريس فيها الراعى مثلا فليس من
الحرية الفكرية في شيء . تسرى هل كان السراعى عاجزا عن
تدريس الادب العربى وتاريخه ، وهو الذى وضع كتابا رائدا في تاريخ
الادب العربى ، وهو كتاب اكثر من ممتاز بالنسبة للعصر الذى كتب فيه ،
وقد سبق ان رأينا لطفى السيد نفسه بل وطه حسين ايضا يقرظانه بما هو
اهله (١٧) ؟ أم هل الحرية هي قصر التدريس في الجامعة على من كانوا
يسمون انفسهم بالمجددين واساتذتهم المستشرقين ؟ أمن الانصاف والاستقلال
الفكرى استخدام كازانوفا ونليو مثلا واحمال الراعى ؟ لماذا لم تعط الفرصة
لمثلئ التيارات الفكرية والادبية بنسبتهم الصحيحة في الحياة الثقافية
المصرية مع ترك عوامل التطور تأخذ مجراها الطبيعى عن طريق الاحتكاك
بين هذه التيارات المختلفة في المحاضرات والكتب والندوات ؟

(١٦) المرجع السابق/ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .

(١٧) انظر حياة الراعى/ص ٦٧ — ٧٠ حيث يذكر رأى بعض مشاهير
العصر وكتابته في كتاب « تاريخ آداب العرب » للراعى حين ظهوره والجهود
الذى بذله الراعى في تأليف هذا الكتاب الرائد وكيف كان هذا الكتاب سببا
من أسباب تدريس هذه المادة في الجامعة المصرية .

وهل من حرية الفكر أن يرفض المسؤولون عن الجامعة المناظرة التي دعاها الرافعي رحمه الله إلى عقدها بينه وبين قلبه حسين ؟ ان المؤمنين الحقيقيين بحرية الفكر يحرصون أشد الحرص على احتكاك العقول والآراء حتى يتمحض الحق وتظهر مسؤولية الباطل . أما رفض مثل هذا الاحتكاك فقد يكون أي شيء آخر غير حرية الفكر والرغبة في الوصول إلى الحقيقة (١٨) . ليس ذلك فحسب ، بل أن الرافعي يفكر أن الأستاذ الخضري بك « كان قد أعد محاضرة مسببة في الرد على طه حسين وكتب إلى الجامعة يستأذنها في القائها على الطلبة فوسعت له وغالت أنها تقدر حرية الفكر وأنها تخصص بأوسع غرفة لمحاضرة الطلبة ، بيد أنها سألته أن يبعث إليها بما كتب . فلما اطلمعت عليه رأت أن تستر على نفسها وأغلقت الباب وقالت لأطفالها : دافعوا أيتها الأفتال الفتنة » (١٩) .

والغريب أن تكون علة التراجع المؤسف هذا هي الادعاء « بأن الكتاب لم يلق على الطلبة حتى يرد عليه في نفس الجامعة » (٢٠) . وأنا لنسأل : إذن لماذا قبلت المناظرة أولا ؟ في ضوء هذا يمكننا أن نفهم قول الرافعي للطنى السيد أنه يخشى من استقلال الجامعة وحرية التفكير (٢١) .

كذلك هل من حرية الفكر أن يضيق طه حسين بمناقشة أحد تلاميذه له فينهره ويسكنه ، ويترك المحاضرة ويخرج ، مع أنه هو الذى اذن له بالكلام ؟ ولكن يبدو أنه كان يتوقع من الطالب أن يقوم فيثني على آرائه وما كان يسميه « نظريته » في الشعر الجاهلي . ولنترك الأستاذ محمود شاكر يروي لنا القصة

(١٨) انظر في خير هذه المناظر « تحت راية القرآن » ص ١١٦ ، ١٢٢ .

(١٩) تحت راية القرآن/ص ٣١٢ .

(٢٠) انظر « تحت راية القرآن » ص ٣٨٨ . والكلام للأستاذ العياشي

في البرلمان . وانظر في هذا الادعاء أيضا ص ٣٨٥ من نفس الكتاب .

(٢١) تحت راية القرآن/ص ٣١٤ .

بقليه : قال : « بعد المحاضرة طلبت من الدكتور طه ان ياذن لي في الحديث ، فأذن لي مبتهجا ، او هكذا ظننت . وبدأت حديثي عن هذا الأسلوب الذي ساء « منهجا » وعن تطبيقه لهذا « المنهج » في محاضراته ، وعن هذا « الشك » الذي اصطنعه : ما هو ؟ وكيف هو ؟ وبدأت ادلل على ان الذي يقوله عن « المنهج » وعن « الشك » غامض ، وأنه مخالف لما يقوله ديكرت ، وان تطبيق منهجه هذا قائم على التسليم تسليبا لم يداخله الشك بروايات في الكتب هي في ذاتها بحفوة بالشك ! وفوجيء طلبة قسم اللغة العربية ، وفوجيء الخصري خاصة . ولما كنت افرغ من كلامي انتهرني الدكتور طه واسكتني ، وقام وقتنا لنخرج « (٢٢) » .

(٢٢) محمود شاكر/المتنبي/السفر الأول/ص ٢٢ .

اتهام الرافعي طه حسين بسرقة آراء المستشرقين

هذه حرية الفكر من كل جوانبها ، قلت فيها ما أملاه على ضميري . يلا ميل الى هذا الطرف أو ذاك . وننتقل الآن الى القضية الثالثة التي أثارها الرافعي رحمه الله في مقالاته ، وهي اتهام طه حسين بأنه سرق آراء في الشعر الجاهلي من المستشرقين . وقد كرر الرافعي ، رحمه الله عليه ، هذا الاتهام في أكثر من موضع من مقالاته التي نشرها اثر صدور كتاب « في الشعر الجاهلي » عام ١٩٢٦ ، ثم جمعها مع مقالات سابقة في كتابه « تحت راية القرآن » .

على صفحة ١٢٢ (وفي المقالة المعنونة بـ « وشهد شاهد من أهلها ») يذكر انه قرأ في جريدة « البلاغ » بتوقيع « نرجات » ان محاضرة استاذ الجامعة (يقصد طه حسين) في امرء القيس مسروقة من دائرة المعارف الاسلامية المطبوعة في ألمانيا « وفي ص ١٢٨ — ١٢٩ (وذلك في مقالة بعنوان « قال انبا أوثيته على علم بل هي فتنة ») يتهم طه حسين اتهاما عاما بتقليد المستشرقين ، الذين لا يوثق برأيهم ولا يفهم في الآداب العربية . اما في ص ١٣٢ (من نفس المقال السابق) فقد عزا ادعاء طه حسين ان النبي ﷺ نهى عن رواية شعر أمية بن أبي الصلت الى كليمان هوار ، الفرنسي ، وان كان قد ذكر أيضا ان تعليل طه حسين لهذا النهي المزعوم يختلف عن التعليل الاحق السخيف للمستشرق الفرنسي ، على حد قوله . وهو يعود في ص ١٤٦ (من مقالة « استاذ الآداب والقرآن . الى هيئة كبار العلماء ومجلس إدارة الجامعة ») غيرميه بأنه أخذ ما يفيد كلامه من ان القرآن الكريم هو كلام النبي ﷺ ومن نظمه وعمله من هذا المستشرق أيضا ومن غيره من المستشرقين . وفي ص ١٧٦ (من مقالة بعنوان « موقف حرج لوزارة المعارف ») يؤكد « ان تقليد بعض المستشرقين هو الذي أسد طه ، فقد صجبه واخذ عنهم ، ثم نزع الى مذاهبيهم وأقوالهم ، لانه وإياهم سواء . أو متقاربون في الركائز وسقم الفهم والوقوع بالبعد البعيد من أسرار الكلام » (م ٤ — معركة الشعر الجاهلي)

العربى ومعانيه» ، وبعد ذلك بصفحة (من نفس المقالة السابقة) يقول إنه « قد أخذ فكرة الشك في شعر الجاهلية عن المستشرقين أيضا » . ويضئ قائلا ان صاحب « المختطف » قد أخبره (في سبتمبر ١٩٢٥) بخبر مقالة مرجليوث (في مجلة الجمعية الآسيوية) التي ينكر فيها صحة الشعر الجاهلى ، وساقى له بعض أدلته فلم يجد فيها مقنعا ولا رضا ، وأنه لما فتحت الجامعة اذ بالدكتور طه حسين « ينتحل الفكرة ويدعيها ويوب لها أبوابا ويفضئ فصولا ويدرس ذلك في الجامعة » (٢٣) . ومع ذلك فقد عاد في ص ٢١٣ (من مقالته المعنونة بـ « قد تبين الرشد من الغي ») فقال ان أحدهم قد نبهه الى ان فكرة طه حسين مأخوذة بكثير من أدلتها من كتاب « الشعر العربى قبل الاسلام » المطبوع بباريس سنة ١٨٨٠ (٢٤) .

هذا ما تنبهت اليه من اتهامات الراعى للدكتور طه حسين بأنه سرق أفكاره في الشعر الجاهلى من المستشرقين . والملاحظ ان المرحوم الراعى قد اتهم د. طه أكثر من مرة اتهاما عاما بنقل آراء المستشرقين . وبالنسبة لبعض الأفكار الجزئية تجده قد اتهم مرتين بالنقل عن مستشرق معين هو كليمان

(٢٣) سقى المرحوم الراعى بأسلوبه التهكمى مرجليوث وطه حسين بـ « الشيخ مرجليوث » و « المسخر طه حسين » ، وهى تسمية ذات دلالة على ما يتهم به الراعى الدكتور طه من انتحال أفكار مرجليوث في الشعر الجاهلى . انظر ص ١٧٧ من « تحت راية القرآن » .

(٢٤) صاغ الراعى ذلك بعبارات تهكمية هذا نصها : « ظننا ان استاذ الجامعة أخذ فكرة الشك في شعر الجاهلية عن المستشرق مرجليوث ، ولكن أخذ الفضلاء نبهنا الى انه قبل جحا قد كان أبو دلالة . فان هذه الفكرة من آراء مستشرقى الألمان ، وهى مبسوسة بكثير من أدلة طه حسين في كتاب « الشعر العربى قبل الاسلام » المطبوع في باريس سنة ١٨٨٠ ، ففسرنا والله ان نباهى الامم كلها بجامعة مصر التى جاءت في تاريخ الدنيا بمعجزة فوق المعجزات ، اذ ظفرت لتفريز الاداب العربية باستاذ عظيم تسرق آراؤه وتطبع وتنشر في اوربا قبل ان يولد هو في مصر ببضع سنوات » . ص ٢١٣ من « تحت راية القرآن » .

هوان . . فكر ذلك مرة متراخية ، حين انهم بسرقة ادخلته في نهم النبي عز
رواية شعر امية بن ابي الصلت ، ومرة اخرى على نحو غير مباشر ، حين
اشار الى مقالة « امرئ القيس » في دائرة المعارف الاسلامية . فهذه المقالة
كتبها هذا المستشرق نفسه ، اما بالنسبة للفكرة الرئيسية في كتاب طه حسين
نقد عزاها مرة الى مقالة مرجليوث ، ثم رجع فصعد بها الى كتاب « الشعر
العربي قبل الاسلام » المطبوع ببيريس سنة ١٨٨٠ . ولا شك ان الرافعي
قد استمد معرفته بذلك المراجع الاوربية من غيره ، اذ لم يكن الرجل يعرف
لغة اوربية معرفة تمكنه من الرجوع اليها بنفسه (الذي اعرفه انه كان له
الملم محدود بالفرنسية) . وعلى كل حال فقد كفانا الرجل مؤونة الاستنتاج
باعتراؤه بنفسه ان هذا الشخص او ذاك هو الذي نبهه الى هذه المعلومة
او غيرها . وهي ابلهة غلبية وشجاعة خلقية منه ، رحمه الله ، لا بد من
التنويه والاشادة بها .

فما اتهاماته العالمة للدكتور طه حسين بانه اخذ افكاره عن المستشرقين
فلا تتعرض لها ، والا لكان علينا ان نرجع الى كل ما كتبه المستشرقون في
هذا الصدد . علاوة على انه قد ذكر نقاطا محددة واتهم طه حسين بانه نقلها
عن مستشرقين معينين ، وهو ما يعطينا من القيام بهذه المهمة ويجعلنا نركز
بحثنا في هذه الاتهامات المحددة .

ولنبدا باشارته الى انه قرأ في جريدة « البلاغ » بتوقيع « فرحات » (١)
ان محاضرة طه حسين في امرئ القيس مسروقة من دائرة المعارف
الاسلامية (٢٥) . صحيح ان فرحات هذا لم يحدد المادة التي ذكر ان الدكتور
طه قد سرق منها افكاره عن امرئ القيس ، الا ان الذهن يتجه للتو الى مادة
« امرئ القيس » ، وهي المادة التي كتبها كليان هوان ، كما ذكرت قبلا .
كذلك صحيح ان كاتب البلاغ لم يقل ان الفصل المعنود لامرئ القيس في

مكتاب « في الشعر الجاهلي » هو المسروق من دائرة المعارف الإسلامية بل محاضراته عن هذا الشاعر . بيد أننا ليس بين أيدينا محاضرات طه حسين ، ومع ذلك فيمكننا أن نعتد على ما ذكره الراجزي أن طه حسين قاله في محاضراته عن هذا الشاعر الجاهلي وكذلك على ما استشهد به من كتاب الدكتور طه بعد صدوره . وخلاصة ما عارض فيه الراجزي طه حسين هو ادعائه أن الفراء المروي لأمرئ القيس هو لعمر ابن أبي ربيعة والفراء (٢٣) ، وأن حياة أمرئ القيس ليست إلا لونا من التمثيل لحياة عبد الرحمن « بن الأشعث » (٢٧) وأن رحلته إلى قيصر غير حقيقية وشعره في ذلك مصنوع (٢٨) . وكذلك حيرته في تحديد تاريخ حياته بين القرن الرابع والقرن الخامس الميلاديين (٢٩) . هذا ما أخذ الراجزي على طه حسين ، وأن لم يتمه اتهاماً صريحاً « اتهمه أن كاتب البلاغ » الذي نقل كلامه الراجزي بما يفيد موافقته عليه ، لم يتمه اتهاماً صريحاً ، بأنه نقل هذه الإنكار بعينها عن دائرة المعارف الإسلامية بل انتصب الاتهام على محاضرة طه حسين عن أمرئ القيس بوجه عام .

على كل حال ، فبالرجوع إلى مادة « أمرئ القيس » في دائرة المعارف الإسلامية (٣٠) وجدنا أن حوار لم ير ما يدعمه إلى الشك في حقيقة وجود أمرئ القيس ، وأن كان يشك في أن الإمبراطور يوستينيان قد خلص عليه حلة مسمومة قتلته ، بسبب تغريده بآبنته ، كما يشك « في أن أشعاره قد وصلت إلينا في وزنها الأصلي » . ومع ذلك فقد لخص رأي السيرتشارلز ليال ، الذي « بين أن استعمال هذا الشاعر الجاهلي لضرب نادر من بحر البسيط

(٢٦) انظر ص ١١٤ ، ٢٩١ — ٢٩٣ من « زاوية القرآن » .

(٢٧) السابق/ص ٢٧٩ .

(٢٨) السابق/ص ٢٩٧ — ٢٩٨ .

(٢٩) السابق/ص ٢٦٨ — ٢٦٩ .

(٣٠) الترجمة العربية/ط دار الشعب/جلد ٤/ص ٤٠٦ ، وكتابتها كما

قلت هو كليمان حوار .

وانتقاه في طرائق الشعر مع عبيد بن الأبرص دليل على صحة ما وصل إلينا من شعره . وان المقاربة بين آراء هوار هذه وبين آراء طه حسين تكشفنا لنا عن اتفاق محدود بينهما في الشك في شعر امرئ القيس : فلما هوار يشك في أن تكون أشعاره قد وصلت إلينا في وزنها الأصلي (على ما في هذا الكلام من غموض وغرابة) ، وأما طه حسين فيشك في صحة الشعر المنسوب إليه بوجه عام ، ويمزو معظه إلى عمر بن أبي ربيعة والفرزدق . كذلك هوار يشك في أن يكون الإمبراطور البيزنطي قد قتل امرأ القيس ، لأنه كما يقول لم يثبت أن كان له ابنة حتى يقرر بها الشاعر ، على حين يشك طه حسين في رحلة امرئ القيس إلى قيصر كلها ، أي أن المستشرق الفرنسي والدكتور متفقان في الشك على الأقل في جزئية من هذه الرحلة هي قصة الحب ، وإن كان الدكتور طه لا يكتفي بهذا بل يعمم هذا الشك على الرحلة كلها . نخلص من هذا إلى أنه إذا كان الدكتور طه قد أخذ بعض أفكار هوار الموجودة في هذه المقالة ، وهذا شيء غير مستبعد ، إذ أنه كان كثير الاستشهاد بآراء الرجل مما يدل على معرفته بكتاباته وأفكاره بل كان شديد الإعجاب به (٢١) ، فإنه لم يأخذها كما هي ، بل نفع فيها وضحها حتى تحول شك هوار القليل والمحصور في جزئيتين خاصيتين كما رأينا إلى شك يكاد يشمل كل ما يتعلق بحياة الشاعر وشعره .

هذا عن آراء طه حسين في حياة امرئ القيس وشعره . أما الاتهام الرافعي له بأنه سرق زعم هوار أن النبي عليه الصلاة والسلام قد نهى عن رواية شعر أمية بن أبي الصلت فإن كلام الدكتور طه حسين نفسه (٢٢) يبدو أنه يزكي هذا الاتهام . وإن كان هناك بعض الاختلاف بينهما مما سأتسرع

(٢١) انظر على الأقل فصل « الدين ونحل الشعر » من كتاب « في الشعر الجاهلي » حيث يناقش الدكتور طه حسين بعض آراء هذا المستشرق ويبدى إعجابه الشديد به .

(٢٢) انظر في الشعر الجاهلي/ص ٨٢ - ٨٦ .

اليه مما قليل) ، فبعد ذكر أول قول حوار أن صحة الشعر المنسوب إلى
أمية واستعانة النبي في نظم القرآن قد جعلنا المسلمين على محاربة شعر أمية
ومحوه ليصح أن النبي قد انفرد بطقى الوحي من السماء (٣٣) ، ثم عقب على
ذلك بأنه من أشد المعجبين بالابتداء حوار وبطائفة من المستشرقين أمثاله
وينتاج بحوثهم « مع مخالفته له في صحة شعر أمية » ، وبعد ذلك ردد فكرة
هذا المستشرق عن النهي عن رواية شعر الشاعر ، وإن كان قد وصل إليها
من طريق آخر . إلا أن الأمانة العلمية تبلي علينا أن نذكر ما لاحظناه من أن
د. طه حسين لم يقل أن النبي عليه الصلاة والسلام هو الذى نهى عن رواية
شعر أمية ، بل قال : « وليس يمكن أن يكون من الحق قى شيء أن النبي نهى
عن رواية شعر أمية لينفرد بالعلم والوحي وأخبار الغيب » (٣٤) ، مما يفهم
منه أن الذى نهى رواية شعر أمية لم يكن النبي بل المسلمون وأن ذلك كان
خاصا بالشعر الذى هجا به أمية المسلمين وأيد فيه المشركين . أكثر من ذلك
أن الدكتور طه يشك في الشعر الذى يفتاؤل فيه أمية أمورا تشبه ما جاء في
القرآن الكريم ، ويرى أن المسلمين هم واضعو هذا الشعر على لسان هذا
الشاعر ليثبتوا أن للإسلام قديمة وسابقة في البلاد العربية . خلاصة القول
أنه إذا كان الدكتور طه حسين قد أخذ الجزئية الخاصة بالنهي عن رواية
شعر أمية من حوار « وليس ما يمنع عندي من ذلك بل أنا أرجحه » فإنه في

(٣٣) وردت هذه الآراء ، كما ذكر طه حسين ، في بحث لهذا المستشرق
نشرته له المجلة الآسيوية سنة ١٩٠٤ . وقد لاحظت أن حوار لم يذكر هذه
النقطة في كتابه La Litterature Arabe في المواضع التى ورد فيها
ذكر أمية . وهذا الكتاب قد ظهر قبل نشر مقالته المشار إليها ، بل ترجم أيضا
إلى الإنجليزية في العام السابق على سنة ظهور هذه المقالة . مهمل نفهم من
ذلك أن رضمه الخاص بنهى النبي عن رواية شعر أمية لم يكن قد « عن له قبل »
هذه المقالة ؟ يبدو ذلك .

(٣٤) في الشعر الجاهلي/ص ٨٤ .

نفس الوقت يخالف ذلك المستشرق في بعض افكاره الاخرى المتصلة
بالموضوع .

اما انتهائه بأنه اخذ ما يفيد كلامه من ان النبي عليه الصلاة والسلام
هو مؤلف القرآن من هوار وغيره من المستشرقين فقد جاء في معرض مناقشته
لموقفه من القرآن الكريم وما يحكيه من قصة ابراهيم واسماعيل وهجرتهما
الى مكة ورمعهما قواعد البيت الحرام . والشق الاول في هذا الاتهام ليس
فيه اى قدر من التجنى ، فان موقفنا طه حسين من هذه القصة القرآنية
والحائقة اياها بالاساطير وقوله ان الاسلام قد استغلها لاسباب سياسية
لا يمكن ابدا ، مهما كان القارىء حسن الظن ، فهمها الا على اساس ان طه
حسين قد قصد ان القرآن من صنع الرسول عليه السلام . ولكن ماذا عن
الشق الثانى من الاتهام ، امنى ان طه حسين قد اخذ كلامه هذا من هوار
وغيره من المستشرقين ؟ الحقيقة انه لم يؤثر من الدكتور طه حسين ، قبل
سفره الى فرنسا ، مثل هذه الآراء . والذي جد عليه أثناء بعثته الى هناك هو
احتكاكه بانكار المستشرقين احتكاكا مباشرا وعلى نحو اشد مما في مصر ،
بحكم اتساع معرفته باللغة الفرنسية وسهولة اتصاله بكتابات المستشرقين ،
التي لم يكن متوافرا منها في مصر الا القليل ، وكذلك بحكم الحرية التامة التي
لا شك ان هؤلاء المستشرقين كانوا يتحدثون بها عن الاسلام في بلدهم على
عكس ما كان ينبغي عليهم ان يراعوه في محاضراتهم بمصر ، مهما بلغت
جرائتهم وعدم ميالاتهم بمشاعر اهل البلد المسلمين . اى ان هذه الامكار لم
يكن لها وجود في كتابات طه حسين ثم اصبح لها وجود بعد عودته من فرنسا
واتصاله المباشر القوي بالمستشرقين وانكارهم عن الاسلام والقرآن والرسول
عليه السلام . من هنا فأتى لا استطيع الا ان اوافق المرحوم الراحل على
ان طه حسين ، حينما يلجأ الى ان القرآن هو من تأليف النبي عليه الصلاة
والسلام ، انها يردد آراء المستشرقين ، ومنهم هوار بظليمة الحال ، الذي
كان يكن له اعجابا شديدا كما رأينا .

تشابه آراء طه حسين ومرجليوث

ويبقى اتهام الراجعي رحمه الله طه حسين بأنه أخذ فكرته عن الشعر الجاهلي من مرجليوث ، وإن كان عاد فاشتر ، بناء على ما أخبره به أحدهم ، إلى أنه ظهر قبل مقالة مرجليوث بمشرات السنين (سنة ١٨٨٠ بالتحديد) كتاب في باريس بعنوان « الشعر العربي قبل الاسلام » . والحقيقة أنني حاولت معرفة مؤلفي هذا الكتاب لأتقن من ذلك إلى معرفة الأكار الواردة فيه والتأكد من دعوى الراجعي رحمه الله ، ولكني لم أصل إلى شيء . وعلى هذا فلن أتلقى هنا هذا الاتهام ، وسأركز كلامي على اتهام طه حسين بأخذ أفكار مرجليوث ، ذلك الاتهام الذي كان الأستاذ الراجعي ، في حدود علمي واستقصائي ، أول من وجهه إليه (كتابة طبعاً ، والأمان الأستاذ شاكراً ، فيما يروى ، قد اتهم طه حسين أمام بعض زملائه من الطلاب منذ أول يوم ، وهو ما سنتعرض له بعد قليل) . قال الراجعي (٣٥) : « ولقد أخذ » يقصد الدكتور طه (فكرة الشك في شعر الجاهلية عن المستشرقين أيضاً ، فقد كان حدثنا الأستاذ العلامة الكبير صاحب مجلة المقتطف في شهر سبتمبر من السنة الماضية أن مجلة الجمعية الآسيوية نشرت بحثاً للشيخ مرجليوث ، المستشرق الإنجليزي المعروف ، أنكر فيه صحة الشعر الجاهلي ، ثم ساق لنا الأستاذ بعض أدلته فلم نجد فيها مقنناً ولا رغباً . وقلنا : هو رأى في العلم لا علم ، ثم هو من مستشرق ، وذلك أو من له . وما كان لنا أن نأخذ عن القوم في الأدب العربي إلا بشريش واحتراس . ولما فتحت الجامعة إذا المستر طه حسين ينتحل الفكرة ، ويدعيها ، ويؤوب لها أبواباً ، ويفصل غصولا ويدرس ذلك في الجامعة » .

وواضح من هذا النص أن الراجعي رحمه الله قد اتهم طه حسين بأنه

سرق فكرة مرجليوث الأساسية ، ولكنه عرضها عرضاً مفصلاً . وواضح
أيضاً أن مقالة مرجليوث قد وصلت إلى مصر قبل أن تنقح الجامعة أبوابها
للصام الدراسي ٢٥ - ١٩٢٦ ، وأن الأستاذ الراجحي قد علم بها فيها في
سبتمبر ١٩٢٥ (وقد أشكرني ذلك بقوله : « في شهر سبتمبر من السنة
الماضية » . ولما كان قد كتب مقالته التي اقتبسنا منها هذا النص مع بقية
مقالاته في سنة ١٩٢٦ أثر ظهور كتاب « في الشعر الجاهلي » لم يمد هناك
شك في هذين التاريخين اللذين أوردهما) .

وأحب أولاً أن أعرض النقاط الرئيسية التي تتكون منها نظرية مرجليوث
عن الشعر الجاهلي ، ثم أقابل بينها وبين العناصر الرئيسية في فكرة الدكتور
طه حسين حول الموضوع ذاته لنرى مدى التشابه أو التباين بينهما . وبعد
ذلك أنتقل إلى التحقيق من تاريخ صدور بحثي مرجليوث وطه حسين . وفي
النهاية أناقش إلى أي حد يمكننا القول أن طه حسين قد أخذ فكرته وآراءه
من مرجليوث أولاً ، فأما بالنسبة لانكار مرجليوث الرئيسية في مقالته المشار
إليها (٢٩) فإنه يشك في وجود أي شعراء جاهلين (٣٧) ، ولا يصدق ما أنت به
الروايات عن كثرة الشعراء والقصائد كثرة هائلة في العصر الجاهلي ، الذي
لا يمتد في الماضي ، على ما تقوله هذه الروايات نفسها ، أكثر من عدة أجيال
قليلة قبل الإسلام ، وهو ما لم يتحقق لبلاد الأفریق نفسها على رغم علو كميتها
في مضمار الحضارة (٢٨) . وهو يستبعد أن يكون الشعر الجاهلي قد حفظ

(٣٦) هذه المقالة عنوانها :

The Origins Of Arabic Poetry

وهي منشورة في .

Journal Of the Royal Asiatic Society.

شهر يولية ١٩٢٥ / ص ٤١٧ - ٤٤٩ .

(٣٧) ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

(٣٨) ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .

عن طريق الرواية الشفوية ، إذ لا يمكن ، في نظره ، أن يكون هناك رجال مهتمون بحفظ الشعر وروايته . وكذلك فإن الإسلام قد هاجم الشعر والشعراء مما لابد أنه دفع المسلمين إلى تلبية الشعر الجاهلي . ثم إن كثيرا من هذا الشعر يدور حول الحروب القبلية ، الأمر الذي كان من شأنه إثارة العصبية وهو ما نهى عنه الإسلام . ومن هنا نبذ المبطلون هذا الشعر فلم يرووه (٣٩) . وكما استبعد أن يكون الشعر الجاهلي قد حفظ بالرواية الشفوية فإنه يستبعد حفظه كتابيا . وهو يستند في هذا إلى نفس القرآن الكريم أن يكون عند العرب كتاب يدرسونه (٤٠) ، مع أنه لا صلة بين هذا وذاك ، إذ إن القرآن ينفي أن يكون لدى العرب كتاب سبأوى لا أنهم جميعا لم يكونوا يعرفون الكتابة والقراءة .

ومن الأسباب التي اتخذها مرجليوث أيضا ذريعة للشك في الشعر الجاهلي أن هذا الشعر هو أكثر تطورا من القرآن الكريم ، إذ أنه بطبيعة الحال يجعل القرآن الكريم من صنع الرسول عليه الصلاة والسلام ، والقرآن في نظره ينتهي إلى مرحلة مبكرة لظهور الشعر ، ولكنه لا يرقى إلى أن يكون شعرا . وما دام الأمر كذلك فلا يمكن أن يكون الشعر الجاهلي قد سبق القرآن (٤١) . وهو يضيف إلى هذا السبب أن رواية الشعر في القرنين الثاني والثالث بعد الهجرة ليسوا أمثلا للثقة ، كما تخبرنا الروايات التي أوردتها المراجع العربية نفسها عنهم وبينهم في بعضهم البعض (٤٢) . على أن هناك ، في رأيه ، أسبابا أخرى غير هذه الأسباب يسيها بالأدلة الداخلية ، ويمكن تلخيصها على هذا النحو : أن في الشعر الجاهلي إشارات إلى قصص قرآنية ، والفاظا دينية إسلامية ، على حين لا نجد فيه جو الآلهة المتعددة

(٣٩) ص ٤٢٣ — ٤٢٤ .

(٤٠) ص ٤٢٤ — ٤٢٥ .

(٤١) ص ٤٢٥ — ٤٢٦ .

(٤٢) ص ٤٢٨ — ٤٢٩ .

« بالنسبة للشعراء الوثنيين » ولا إشارة إلى النصرانية وتعاليمها وكتابتها إلا في النقرة (٤٣) « وإلى جانب ذلك هناك الاختلاف بين لهجات القبائل المتعددة » وكذلك بين لغة الشمال والجنوب ، فاین هذه الاختلافات في الشعر الجاهلي ، الذي نظم كله بنفس اللغة التي صيغ بها القرآن (٤٤) ؟ وأخيرا فإن بناء القصائد الجاهلية يدل على أنها نظمت بعد ظهور القرآن ، الذي يقول مرجليوث عنه انه لما قال ان الشعراء يتبعهم الغاؤون ، وانهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون مالا يفعلون جاء واضحا هذه القصائد وناعظوها للجاهليين فعملوها تبتدىء بالغزل الحسى (ليس الشعراء يتبعهم الغاؤون ، بما يدل على انهم هم انفسهم غاؤون ؟) لتنتقل الى وصف رحلة الشاعر (تحقيقا لقول القرآن في الشعراء انهم في كل واد يهيمون) ، ثم تخرج من ذلك الى مبالغة الشاعر في الحديث عن انجازاته وتضخيمها (تصديقا لرسم القرآن للشعراء بانهم يقولون مالا يفعلون) (٤٥) . ويعود مرجليوث فيقول ان النقوش التي مثر عليها لا تحتوي على أى شعر من تلك الفترة ، ورايه انه اذا كانت الممالك الجاهلية التي خلفت لنا هذه النقوش لم تعرف الشعر ، فكيف تصدق ان الاعراب المتبدين كان لهم هذا الشعر الراقى المنسوب الى

(٤٣) ص ٤٣٤ — ٤٤٠ .

(٤٤) ص ٤٤٠ — ٤٤٣ .

(٤٥) ص ٤٤٣ — ٤٤٤ . ومن الواضح ان مرجليوث ، ان احسنا به الظن ، لم يفهم المقصود بهذه الايات ، فهي لا تتحدث ، كما يفهم من كلامه ، عن غواية الجنس والهيان في اودية البادية ودروبها . . . الخ ، بل تتحدث عن الشعراء الذين يوظفون قوتهم في نصرة الشر واتباع غواية الكفر ، والجرى في اودية الوهم والضلال ، والتمنع والمبالغة في القول دون ان يتبعوه بالعمل . وقد لاحظت ان الدكتور ناصر الدين الاسد ، على رغم عظيمة الجهد الذي بذله في كتابه « مصادر الشعر الجاهلي » قد اضطرب قليلا في عرشه لهذه النقطة من افكار مرجليوث ، وعزا ذلك الى غموض العبارة في كلام هذا المستشرق ، مع ان هذا غير صحيح . انظر ص ٣٦٥ — ٣٦٦ من كتابه الدكتور الاسد .

الجاهلية ؟ علاوة على أن القرآن لم يذكر الموسيقى ، التي هي في رؤية من مستحدثات العصر الأموي ، فكيف يمكننا تصور وجود وزن شعري عند العرب بهذا الانتظام والوفرة وهم لم يعرفوا الموسيقى (٤٦) ؟ وفي النهاية يرى مرجليوث أننا إذا أردنا أن نعرف حالة العرب في عصر البعثة النبوية فليأمننا القرآن (٤٧) .

ماذا ما انتقلنا إلى النظر في آراء طه حسين تأكد لدينا أن الأسباب التي استند إليها في شبهة في الشعر الجاهلي لا تكاد تخرج عما قاله مرجليوث ، فهو في فصل « مرآة الحياة الجاهلية يجب أن تلتبس في القرآن لا في الشعر الجاهلي » (٤٨) يتكر أن يكون ما يسمى بالشعر الجاهلي ممثلاً للحياة الجاهلية ، التي لا يمكن دراستها إلا من خلال نصوص القرآن . ليس هذا ما قاله مرجليوث (٤٩) ؟ وهو يرى أن هذا الشعر المسمى بالجاهلي لا يعكس لنا الحياة الدينية عند الجاهليين . وهذا قريب جداً مما قاله مرجليوث (٥٠) . غير أن أمانة العلم تلزمنا أن نوضح أن د. طه قد زاد هنا أن الشعر الذي يفلسف للجاهليين لا يمثل حياة العرب السياسية أو الاقتصادية أو المدنية (٥١) .

أما كلامه عن لغة الشعر الجاهلي وأنها لا تمثل الاختلاف بين لغة الشمال ولغة الجنوب أو الاختلاف بين لهجات القبائل المتعددة فهو في خطوطه العامة

(٤٦) ص ٤٤٦ - ٤٤٨ .

(٤٧) ص ٤٤٩ .

(٤٨) في الشعر الجاهلي/ من ص ١٥ - ٢٣ .

(٤٩) ص ٤٤٩ من « مجلة الجمعية الآسيوية الملكية » .

(٥٠) ص ٤٣٤ - ٤٤٠ .

(٥١) انظر « في الشعر الجاهلي »/ ص ١٩ - ٢٣ .

(٥٢) وذلك في فصلي « الشعر الجاهلي واللغة » و « الشعر الجاهلي

واللهجات » من كتاب « في الشعر الجاهلي »/ ص ٢٤ - ٣٠ ، ٣٢١ - ٣٣٩ .

هو نفسه ما قاله مرجليوث (٥٣) ، وأن كان الدكتور طه قد خرج في الفصل الأول من الفصلين المشار إليهما إلى الحديث عن قصة سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل وهجرتهما إلى مكة . . . الخ وعدها أسطورة اخترعها العرب ، واستغلها القرآن للتقرب من اليهود ، مما لم يتناوله مرجليوث في مقالته .

كذلك فإن قوله أن الشعر الجاهلي لم يصلنا إلا بالرواية الشفوية يشبه رأى مرجليوث ، الذي ينفي انتقال الشعر المنسوب إلى الجاهليين اليأسا عن طريق الكتابة (٥٤) . أما بالنسبة للرواية الشفوية لهذا الشعر فإن مرجليوث ينفي وجود حفاظ حرفتهم رواية الشعر في ذلك الوقت ، وهو قريب من شك طه حسين في مقدرة الحفاظ والرواية على نقل هذا الشعر (٥٥) .

قد يقال أن الدكتور طه قد أتى بجديد حين أورد بين أسباب شكه أن علماء الإسلام قد دفعهم حرصهم على أن يستشهدوا بالشعر الجاهلي على الفاظ القرآن والحديث والمذاهب الكلامية على وضع الشواهد المطلوبة وضعا (٥٦) . ولكن بعض التفكير في ما قاله الدكتور طه سوف يبين لنا أن ذلك متفرع من قول مرجليوث أن الشعر الجاهلي يتضمن الفاظا دينية إسلامية (٥٨) .

ومع ذلك فقد أتى د. طه حسين بأشياء ليست عند مرجليوث . وفي

(٥٣) انظر ص ٤٤٠ — ٤٤٣ .

(٥٤) ص ٤٢٤ — ٤٢٥ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية .

(٥٥) ص ٤٢٣ — ٤٢٤ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية .

(٥٦) انظر ص ٨٤ من فصل « الدين وانتحال الشعر » من كتاب « في الشعر الجاهلي » حيث يتخذ من ورود شعر أمية بن أبي الصلت عن طريق الرواية سببا في شكه فيه .

(٥٧) انظر ص ٣٨ — ٤١ من كتاب « في الشعر الجاهلي » .

(٥٨) انظر ص ٤٣٥ — ٤٣٨ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية المذكورة .

الغالب نجد أن مرجليوث قد ذكر أشياء لم ترد عند طه حسين : فمثلا في الكتاب الثاني « من كتابه » في الشعر الجاهلي « يتحدث طه حسين عن أسباب انتحال (كذا) الشعر ، وهو ما لم يتعرض له مرجليوث باستثناء آرائه الشعبية (كما قدبنا) ، وهي تشبه رأى الدكتور طه . أما مرجليوث فقد ذكر أن الإسلام ، لحصره على دهن المعصيات ، كان من وراء إهمال المسلمين للشعر الجاهلي المملوء بالحديث عن الحروب القبلية التي كانت هذه المعصيات من ورائها تغذيها وتلهبها (٥٩) . كما أشار إلى أن الشعر المسمى بالجاهلي لا يمكن إلا أن يكون لاحقا للقرآن لا سابقا عليه ، وذلك لأنه في نظره أكثر تطورا غنيا من القرآن (٦٠) . ثم أنه قد استبعد وجود هذا العدد الضخم من الشعراء والقصائد في العصر الجاهلي على حين لم يتحقق ذلك لبلاد الأفریق المتحضرة (٦١) . ويضاف إلى ذلك ما ذكره من أن القرآن لم يشر إلى وجود الموسيقى عند العرب فكيف نصديق بوجود أوزان شعرية على هذه الدرجة العالية من الانتظام والتنوع (٦٢) ؟ وكذلك ما زعمه من أن نظام القصيدة الجاهلية يدل على أنها صناعة استلابية تصنع بها اثبات ما جاء في أواخر سورة « الشعراء » من هذه الطائفة (٦٣) . وهو ما لم يتعرض له طه حسين .

نخلص من هذا إلى أن مرجليوث والدكتور طه حسين يتفقان في معظم البواعث الأساسية التي دفعتهما إلى الشك في صحة الشعر الجاهلي . وقد رأينا أن مرجليوث قد ذكر هنا أشياء لم يذكرها الدكتور طه . كذلك فإن

(٥٩) انظر ص ٤٢٣ — ٤٢٤ من المجلة المذكورة .

(٦٠) انظر ص ٤٢٥ — ٤٢٦ من المرجع السابق .

(٦١) انظر ص ٤٢٢ — ٤٢٣ من المجلة السالفة الذكر .

(٦٢) ص ٤٤٦ — ٤٤٨ .

(٦٣) ص ٤٤٣ — ٤٤٤ .

الدكتور طه لم يقف عند هذا الحد ، بل مضى فتحدث عن الاسباب التي يرى انها كانت وراء وتشتيع الشعر وتخلته للجاهليين ، وهو ما لم يتعرض له مرجليوث الا عرضا وفي نقطة واحدة ليس غير . بيد ان هذا القسم من كتاب الدكتور طه ما كان ليوجد لولا القسم الاول من الكتاب ، الذي يتشابه الى حد كبير مع ما قاله مرجليوث تشابها واضحا . فهذا القسم الاول هو الأساس . هذا ، ولم اذكر القسم الثالث من كتاب « في الشعر الجاهلي » لانه عبارة عن دراسة تطبيقية على عدة شعراء جاهليين ، ونحن انما نتحدث هنا عن الإنكار النظرية . وأيضا فاني أحب ان اذكر القارئ اني ، لعدم اهتدائي الى الكتاب المطبوع في باريس (١٨٨٠) الذي ذكر المرحوم الرافعي ان احدهم قد اخبره ان الدكتور طه قد اعتمد في فراسته للشعر الجاهلي عليه ، لا استطع ان اعد موازنة بينه وبين كتاب « في الشعر الجاهلي » .

هل كان طه حسين على علم بمقالة مرجليوث في الشعر الجاهلي ؟

والآن ، كيف تفسر هذا التشابه في أساسيات فكرة مرجليوث وفكرة طه حسين ؟ ان الرأى قد اتهمه بسرقة مرجليوث وهو اول من سجل هذا الاتهام مكتوباً فيما نعرف (كما قلنا سابقاً) . والحقيقة ان كثيراً ممن جاءوا بعده يرون هذا الرأى ، وان غير كل منهم منه بطريقته الخاصة (٦٤) . ومع ذلك فان الدكتور ابراهيم عبد الرحمن ينفي نفياً قاطعاً ان يكون طه حسين قد تأثر بمرجليوث في أى شيء . كذلك هناك عبد الرشيد الصادق ، الذى يقدم نظرية جديدة في هذا الموضوع قوامها ان طه حسين لم يتأثر بمرجليوث بل برينان . ثم هناك د. عبد الرحمن بدوى ودفاعه عن طه حسين . وسوف نناقش فيما يلى هذه المسألة .

يقول د. ابراهيم عبد الرحمن (٦٥) : « تجددت حملة التهم على طه

(٦٤) انظر د. ناصر الدين الأسد/مصادر الشعر الجاهلي/ص ٣٨٠ ، ٤١١ وكذلك ص ٤١١ ، ٤١٢ حيث يشير د. الأسد الى اتهامات محمد احمد الغمراوى ومحمد الخضر حسين للدكتور طه حسين باحتذاء مرجليوث . وانظر د. شوقي ضيف/العصر الجاهلي/ص ١٧٥ حيث يقرن في نقده لفلو المحدثين في شكهم في الشعر الجاهلي بين مرجليوث وطه حسين قرناً ذا مغزى . وانظر كذلك اشارة د. احمد كمال زكى الى محاولة د. طه حسين ان يثبت مساواته لمرجليوث في الاستنباط وفهم دلالات الاخبار . وتنبه لحرصه على ان يوضح تاريخى مسدور بحثى مرجليوث وطه حسين مما له دلالة/طه حسين كما يعرفه كتاب مصره/ص ١٧٢ ، ١٨٨ . وانظر الاستاذ محمود شاكر/المتنبى/السفر الاول/ص ١٥ - ٢٦ ، ود. عفت الشرقاوى/دروس ونصوص في قضايا الادب الجاهلي/ص ٨٦ - ٨٧ .

(٦٥) الاهرام/عدد الجمعة ١٩٨٦/٢/٧ . الصفحة الادبية تحت عنوان/ الى خصوم طه حسين ومؤيديه : النص الكايل لمقالة مرجليوث في براءة عميد الادب العربى .

حسين اخيرا في بعض الكتابات المضربة ، وهو ما يجمل منها ظاهرة مقلدة في ثقافتنا المعاصرة . ومصدر القلق أننا نبيع لانفسنا الحكم على الأشياء عن طريق « السماع » فنقع لذلك في احكام ظلاله وغير صحيحة . ولو أخذنا انفسنا الى الأصول لقراءتها وتحليلها لجاءت احكامنا صحيحة ومنصفة . وفي موضوع طه حسين والشعر الجاهلي أرشح لهذه القراءة ثلاثة أعمال تبدأ بأحدثها ، وهو رأي مرجليوث في كتاب « في الأدب الجاهلي » المنشور في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية — أكتوبر ١٩٢٧ . ولهذا الرأي أهميته وخطورته لأنه أولا : يمثل وجهة نظر لا تزال غير معروفة للذين كتبوا عن طه حسين ، ولأنها (كذا) ثانيا : صادرة عن طرف أصيل في هذه القضية المزعومة ، قضية « سطو » طه حسين على أعمال المستشرقين . ثم يترجم الدكتور مقال مرجليوث ، ثم يعقب عليه بقوله أن « اتهام طه حسين بالسطو على أفكار مرجليوث ... حمل هذا المستشرق على ترتيب أفكاره في هذه المقالة ترتيبا علميا دقيقا يمثل في شيئين : الأول حقيقة ثابتة ، وهي أن العمليين كليهما قد نشرتا في وقت واحد تقريبا ، وأن كلا من الكاتبين قد توصل الى آرائه مستقلا تماها عن الآخر . والثاني أن آراء مرجليوث في الشعر تناقض آراء طه حسين . فمرجليوث ينكر أن يكون الجاهليون قد عرفوا نظم الشعر ، وأن ما وصل إلينا منه من صنع الشعراء المسلمين الذين احتفوا لغة القرآن ، بينما يذهب طه حسين الى الثقة في وجود شعر جاهلي ، ولكن ينتسك في صحة كثير من نصوصه التي وصلت إلينا وكانت بسبب الرواة عرضة للوضع والتحريف ... الخ » .

والحقيقة أن مرجليوث منجرح في شهادته ، وهو عندي ليس أفضل بل أسوأ من هؤلاء العاطلين الذين يتجمعون عند أبواب المحاكم في انتظار من يطلبهم للشهادة بالأجرة ، فينصرون الباطل على الحق ، وكله بالفلوس . وحتى لا يظن بعض أنني متجن على هذا المستشرق أذكرهم بما سبق أن خللت عليه (في هذه الدراسة) من خيائنه لأمانة العلم ، إذ يملأ له حقدته أن يضع يديه على عينيه كيلا يرى حقائق التاريخ فيرمى رسولنا الكريم بأنه « شيخ » م . ه — معركة الشعر الجاهلي .

منسر « واننا لا ينبغي أن نلق كثيرا بما يقول، وغير ذلك مما يدل دلالة جازمة على أن هذا الرجل ناقذ العدالة غير أهل للشهادة. ويضاف الى ذلك هذه المبادرة المريبة الى نفي سبقته على طه حسين ، ومهدنا بالمبدعين أن يحرصوا على اثبات سبقهم بكل سبيل حتى في القائه واليسر من الامر ولو كان صورة بيانية لطيفة أو اشتقاقا جديدا مثلا . ان هذه اول مرة ، فيها اذكر ، اسمع فيها بكاتب ينفي أن يكون كاتب آخر قد تأثر به رغم تشابه فكرة هذا الكتاب مع فكرته. والسؤال الآن : على أي أساس عرف مرجليوث ان طه حسين لم يتأثر بها كتيبه هو وقد كان بينهما آلاف الاميال وبحار وجبال ووهاد ومدن وقرى لا يحصونها الا خالقها ؟ أياكون مرجليوث من أهل الخطوة ونحن لا ندري ؟ الا يرى القارئ معنى أن شهادة هذا الشاهد « المتبرع » بشهادته دون أن يطلب اليه أحد ذلك هي شهادة مرجحة ساقطة ؟ قد يقول بعض الذين يتقون بمرجليوث : ان هذا كلام نظري ، ولا مانع أبدا أن تكون هذه خيائنه لآمانة العلم فيها يتعلق بمجرد « هذا اذا عدوها خيانة ! » ومع ذلك يشهد في حق طه حسين شهادة صادقة « . ومع ان هذا المنطق غير مقبول لدى ، لأن ما ذكرته عن هذا المستشرق كافة عندي تنابا لرفض شهادته المريبة ، فاني اقول ، لا « على السماع » بل بالدليل الموثق الذي يصك هذا المرجليوث الكذبان في وجهه صكا : انك يا مرجليوث حين تقول ان بحثك عن « اصول الشعر الجاهلي » قد نشر في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية في الوقت نفسه تقريبا الذي ظهرت فيه طبعة كتاب « في الشعر الجاهلي » انما انت كاذب كاذب كاذب « كاذب بالثلث » ، فانت تعلم جيدا انك نشرت بحثك في المجلة المذكورة في يولية ١٩٢٥ وان طه حسين قد فرغ من تأليف كتابه في اواخر مارس ١٩٢٦ (٦٧) . فاذا أضفنا شهرا مثلا للطباعة كان بين ظهور بحثك

(٦٦) انظر أسفل من ١٨٣ من كتاب/في الشعر الجاهلي حيث يؤرخ طه حسين فراغه من تأليف الكتاب بـ « ١٨ مارس سنة ١٩٢٦ » ، وكذلك أسفل صفحة الامضاء حيث يؤرخ كلمته الموجهة الى ثروت باشا رئيس

وظهور كتاب الدكتور طه حسين عشرة شهور ، أى قريب من سنة ، فكيف تقول عن كتابين بينهما هذه المسافة الزمنية انهما قد ظهرا في نفس الوقت تقريبا ؟ ان هذا كذب بواح ، معلام يدل ذلك (٦٧) ؟

وثمة دليل آخر على أن هذا المستشرق كذاب لا تقبل شهادته ، هو قوله « ان طبعة الكتاب الاول » (يقصد كتاب « في الشعر الجاهلى ») ... قد سحبت من التداول لاحتوائها على بعض الفقرات التى يظن أن فيها مساسا بالقرآن (٦٨) الا يعرف مرجليوث أن تلك الفقرات المشار اليها تخالف فعلا (لا ظنا) القرآن الكريم ؟ اننى لا أحجر على أحد أن يعتقد أو يقول ما يشاء ، بيد أن هذا شيء والتفطية على معتقدات هذا « الأحد » وآرائه شيء آخر ليس من امانة العلم ولا الإلم في كثير ولا قليل .

ربما قال قائل : اننا نسلم بكذب مرجليوث وبأن الكتابين تفصل بين صدورهما فمسلا عشرة شهور ، ولكن ما يدريك ؟ لعل المقالة لم تصل الى مصر الا بعد ظهور كتاب الدكتور طه . غير أن قائل هذا الكلام ينسى اننا نعلم على وجه اليقين أن عدد يولية ١٩٢٥ من مجلة الجمعية الملكية الاسبوعية قد وصل مصر قبل صدور كتاب طه حسين بل قبل بدء العام الدراسى ومحاضرات الدكتور في الشعر الجاهلى بوقت كاف جدا ، اذ أخبرنا الرامعى أن صاحب المقتطف قد أخبره في سبتمبر ١٩٢٥ قبل فتح الجامعة أبوابها للسنة الجديدة

الوزارة بـ « ٢٢ مارس سنة ١٩٢٦ » . وانظر كذلك اشارة زوجته في كتابها « معك » - ص ٧٨ الى أنه انتهى من كتابه في مارس ١٩٢٦ وأنه كان بدأ كتابته في يناير من نفس العام .

(٦٧) انظر أيضا صالح كريم/ وثيقة جديدة لمرجليوث ببرى عميد أدبنا من اتهام أستير ٦٠ عاما/ الصفحة الأدبية من أهرام الجمعة ١٩٨٦/١/١٧ حيث يردد رأى د. إبراهيم عبد الرحمن الموجود في كتابه « بين القديم والجديد » ص ٤٤٠ - ٤٤٢ .

(٦٨) أهرام ١٩٨٦/٢/٧ الصفحة الأدبية .

بمقالة مرجليوث ولخص له بعض ما فيها من أفكار (٦٩) . والرائع كما تعلم كان يعيش في طنطا ، وليس قريبا من صروف يقابله باستمرار حتى يقال انه أخيره بخبر المقالة تو وصولها ، أي انه لابد انه يكون قد مر على وصول عدد المجلة الذي يتضمن المقالة بعض الوقت . كذلك يخبرنا الأستاذ شاكرك بأن نسخة من هذا العدد قد وقعت في يده قبل بداية العام الدراسي بوقت طويل . صحيح انه لم ينص على ان ذلك كان قبل بداية العام الدراسي « بوقت طويل » بصريح العبارة ، ولكن قوله : « ومرت الأيام » وغاص كلام هذا الأعجمي في لجج النسيان » (٧٠) ، ثم قوله بعد ذلك : « كان ملكان » ودخلنا الجامعة ، وبدأ الدكتور طه يلقي محاضراته التي عرفت بكتاب « في الشعر الجاهلي » . ومحاضرة بعد محاضرة ، ومع كل واحدة يرتد الى رجع من كلام هذا الأعجمي الذي غاص في يم النسيان (٧١) له مفزاة . ان نص الأستاذ شاكرك مرتين على انه كان قد نسي أفكار مقالة مرجليوث عندما بدأ الدكتور طه محاضراته المذكورة يدل على ان قراءته لمقالة مرجليوث كان قد مر عليها وقت طويل ، وهو ما يجعلني أعتقد ان العدد المذكور من المجلة الانجليزية قد أرسل فور صدوره الى مصر للمشتريين فيها ولشاهير العلماء والكتاب كيعقوب صروف وكاحد تيمور ، الذي أعطى نسخته لشاكرك ليقراها . ناذنا عرفنا ان المجلة تصدر في لندن ، أي عاصمة عواصم العالم في ذلك الوقت وعرفنا الدقة الانجليزية « وبخاصة ان المجلة تصدر عن اكبر هيئة علمية في مجالها » وعرفنا مدى انضباط وانتظام البريد الانجليزي « وبالذات في تلك الأيام » تبين لنا ان المجلة لابد ان تكون قد أرسلت الى مصر فور صدورها ، وان وصولها لم يستغرق الا وقت البريد فقط ، وهو لا يزيد عن أيام معدودات . ولتوضيح ذلك أحيل القارئ على التاريخ الذي كتب فيه د. طه حسين

(٦٩) انظر تحت راية القرآن/ص ١٧٧ .

(٧٠) شاكرك/المتنبي/السفر الاول/ص ١٥ ، ١٧ .

(٧١) المرجع السابق/ص ١٨ .

مقدمة كتابه « في الأدب الجاهلي » وهو ١١ مايو ١٩٢٧ ، وعندئذ المجلة المذكورة الذي ظهر فيه عرض مرجليوث لهذا الكتاب ، عدد يولييه ١٩٢٧ (٧٢) . فإذا قدرنا لطبع الكتاب شهرا مثلا ، فمعنى ذلك أنه قد ظهر في النصف الأول من يونيو ١٩٢٧ . كذلك إذا قدرنا أن قراءة مرجليوث له وكتابته لمرصه قد استغرقتا نحو عشرة أيام ، فإنه لا يبقى بين صدور الكتاب ووصوله إلى يد مرجليوث في بريطانيا إلا عدة أيام ، هي المدة التي يستغرقها البريد بين مصر وبريطانيا . وهو ما يؤكد أن انتقال المجلة المذكورة في الاتجاه المعاكس (أي من بريطانيا إلى مصر) لم يستغرق إلا أياما معدودة كما قلنا .

ولعل بعضا يقول : ربما لم تصل إلى مصر إلا هاتان النسختان . ولكن قائل هذا يتجاهل أنه كان في مصر في ذلك الوقت ، بحكم الاحتلال على الأقل ، أعداد كبيرة من المستشرقين والمثقفين الأوروبيين المهتمين بما تنشره هذه المجلة وأمثالها من المباحث . وكان في كلية الآداب وحدها عدد من الأساتذة الأوروبيين المستشرقين الذين يأتهم دله حسين فنيانج مساء في الجامعة فيزورونه في بيته على الأقل في الأسبوع مرة (كما سبق أن عرفنا من السيدة زوجته) (٧٢) ، فهل من المعقول أن نظن أن كلا من أحمد تيمور ويعقوب صروف يحصل على نسخة من هذه المجلة (هدية أو اشتراكا أو من أي سبيل آخر) ولا يحصل عليها أولئك المستشرقون والأساتذة الأجانب الذين كانوا حول طه حسين في الجامعة وفي بيته ، وهذه المجلة إنما أنشئت بجهود هؤلاء المستشرقين ومن أجلمهم ، بحريونهم ويقرأونها ؟ وإذا وصلت إلى أيدي هؤلاء ، ولابد أن تصل وتكون بين أيديهم أثر صدور كل عدد منها بأيام قليلة هي المدة التي يستغرقها البريد كما قلت ، فهل سيكتفون بما فيها من علم عن طه حسين وهو زميلهم وصديقهم الحميم المتخصص لهم ولحضارتهم وآدابهم ونظرياتهم وإنكارهم ؟

(٧٢) من ٩٠٤ - ٩٠٥ .

(٧٣) « ملك » من ٧٤ - ٧٥ .

لم ترى يعقوب صروف والرحوم أحمد تيبور أحرص على اطلاع الرافعي وشاكر (وشاكر كان في ذلك الوقت تلميذاً على مشارف الجامعة) على ما قال مرجليوث ، من هؤلاء المستشرقين والأساتذة الأجانب اصديقاء طه حسين على اطلاعه عليها ؟ وحتى لو افترضنا جدلاً أنهم لم يخبروه من تلقاء أنفسهم بخبرها ولم يترجموها له ، اليس اتفاق مجلس الجامعة على أن يدرس هو الأدب العربي في هذا العام الدراسي التالي لظهور مقالة مرجليوث يجعلنا نعتقد أنه لابد أن يكون قد سال وبحث من المراجع اللازمة لتدريس تاريخ الشعر الجاهلي وأن بعضهم قد أخبره بهذه المقالة باعتبارها آخر ما ظهر وأحدث صحة في دوائر المستشرقين في عالم النظريات الأدبية ؟

ان للدكتور إبراهيم عبد الرحمن موقفاً في هذه المسألة يحسن أيراده هنا . انه مثلاً يذكر (٧٤) أن مقالة مرجليوث ظهرت في يولية ١٩٢٥ وكتاب طه حسين « بعد ذلك بشهور » في أوائل ١٩٢٦ . (وأن لم يحدد الشهر الذي ظهر فيه الكتاب ، وقد قلت أنه إبريل على أسرع تقدير) . وهو ما تجاهله عند ترجمته لمقالة مرجليوث والتعليق عليها في عدد الأهرام ١٩٨٦/٢/٧ ، على ما مر بنا ، بل تجاهله أيضاً في نفس كتابه السابق « بعد ذلك بصفحة واحدة » حين ساق ترجمة جزء من عرض مرجليوث لكتاب « في الأدب الجاهلي » وفيها ، كما نعرف ، أن الباحثين قد ظهروا في نفس الوقت تقريباً ، وكان ينبغي على الدكتور إبراهيم أن يوضح أن المستشرق هنا يكذب ، لأن فرق عشرة شهور (على الأقل) لا يوصف بأنه « نفس الوقت تقريباً » . كذلك يلاحظ أنه في الجزء الذي ترجمه من عرض مرجليوث المذكور (لم ترجمه د. عبد الله المهنا ؟) (٧٥) قد وردت هذه العبارة (من كلام مرجليوث طبعاً) عن كتاب طه حسين : « وفكرة الكتاب مشابهة لفك الفكرة التي أدت حولها

(٧٤) في كتابه « بين القديم والجديد » / ص ٣١٤ — ٤٤٠ .

(٧٥) انظر « بين القديم والجديد » / ص ٤٤٠ — ٤٤١ .

بحثي عن « أصول الشعر العربي » (٧٧٥) ، على حين أن هذه العبارة في الترجمة الكابلية لعرض مرجليوث ، التي نشرت في أهرام ١٩٨٦/٢/٧ قد أصبحت : « وفكرة الكتاب **مماثلة** إلى حد كبير للفكرة التي أدت حولها بنفسي من « أصول الشعر الجاهلي » (٧٧٥) . وليس من شك في أن هناك فرقاً كبيراً بين السكلايين . ومع ذلك فقد تجاهل الدكتور أن يعلق بما يكشف عن السر في ذلك .

وهذا يقودنا إلى ما ذكره تعليقا على عرض مرجليوث من أن اهتمام طه حسين بالسطو على أفكار مرجليوث ... حمل هذا المستشرق على ترتيب أفكاره في هذه المقالة ترتيباً عليها دقيقا يمثل في شيئين : الأول حقيقة ثانية وهي أن العملين كليهما قد نشر في وقت واحد ... الخ (وهذه قد فرغنا من اظهار ما فيها من كذب) ، والثاني أن آراء مرجليوث في الشعر تناقض آراء طه حسين ، فمرجليوث ينكر أن يكون الجاهليون قد عرفوا نظام الشعر ... بينما يذهب طه حسين إلى الثقة في وجود شعر جاهلي ولكنه يتشكك في صحة كثير من نصوصه ... وهو لذلك يلج فيما يستيه مرجليوث الجزء البناء من كتابه على استكشاف مقياس نقدي للتمييز بين الشعر الصحيح (كذا) . وسؤالي هو : هل قال مرجليوث هذا ؟ هل قال مرجليوث أو تميم من كلامه على الأقل أن آراءه في الشعر الجاهلي تناقض آراء طه حسين ؟ أن مرجليوث قد ذكر بضم ترجمة الدكتور ابراهيم عبد الرحمن أن « فكرة الكتاب (يقصد كتاب « في الشعر الجاهلي ») مماثلة إلى حد كبير للفكرة التي أدت حولها بحثي عن « أصول الشعر الجاهلي » (٧٨٥) . إذن ففكرتا الباحثين متماثلتان ، وإلى حد كبير ، لا متناقضتان كما جاء في تعقيب الدكتور .

(٧٦) السابق/ص ٤٤١ .

(٧٧) عبارة الأصل الانجليزية هي :

انظر عدد يولية ١٩٢٧ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية/ص ٦٠٢ .

(٧٨) أهرام الجمعة ١٩٨٦/٢/٧ الصفحة الأدبية .

ابراهيم . هذه واحدة ، أما بالنسبة للجزء البناء (كما سماه مرجليوث) ، وهو الجزء الذى يحاول طه حسين فيه ان يرسى أساسا جديدة لتحييض صحيح الشعر الجاهلى من زائله ، فلتيسع مرة أخرى ما قاله هذا المستشرق فيه . قال : « ولكن قيمة هذه النظرية (يقصد وجود مدارس شعرية ، فى رأى طه حسين ، قرب ظهور الاسلام) قد اهتزت الى حد ما بتأكيد المؤلف ان كثيرا من الشعر المنسوب الى هؤلاء الشعراء (يقصد مدرسة أوس بن حجر ، التى تنتهى بجميل بثينة) شعر موضوع ، وملاحظة ان القصيدة الوحيدة الباقية عن أوس من صنع خيال نسيم ، وان الرواة الذين وصل إلينا من طريقهم خبر هذه الصلة الفنية بين شعراء هذه المدرسة يفصل بينهم وبين آخرهم زمن طويل . ولذلك فان النقض من نظرية طه حسين لا يزال أقوى أجزاء الكتاب وأكبرها تأثيرا فى الدراسات الأدبية فى العالم العربى (وهذه أيضا غير صحيحة ، فقد رأينا كبار الدارسين لتاريخ الأدب العربى يرفضون هذه النظرية المتهافنة) .

اذن فليس تناقض بين الكتابين على الإطلاق ، ولا قال بهذا مرجليوث . وكيف يقول بهذا فى الوقت الذى لا يوجد فيه إلا فرق ضئيل بين فكرته وفكرة طه حسين ، اذ ان هذا الأخير وان لم ينف الشعر الجاهلى كله قد ضيق الباب تضيقا شديدا فلم يسمح بمرور شيء من هذا الشعر إلا ببلاغ الصعوبة ؟ الطريف ان الدكتور ابراهيم ، الذى قال فى أهرام ١٩٨٦/٢/٧ ان آراء مرجليوث تناقض آراء طه حسين هو نفسه الذى كان قد قال قبل ذلك فى كتابه « بين القديم والجديد » ان آراء طه حسين ومرجليوث قد تشابهت وان لم تتطابق تماما . ومرة أخرى نراه لا يهتم بتوضيح هذا الاضطراب .

سيقول الأستاذ الدكتور : ولكن « ليس هناك شك فى ان تأليف طه حسين لهذا الكتاب قد مر ، مثل أى كتاب يؤلفه أى كاتب ، بمراحل معينة لها أهميتها فى الكشف عن طبيعة الصلة بين كتابه وبحث مرجليوث . فقد بدأ بتدريسيه ، كما يقول الأستاذ شاكر ، للطلاب فى شكل محاضرات ظل يرددنها على مسامعهم . جابا بعد مسلم ، حتى اذا انتهت له صفحة ما انتهى

اليه في رواية هذا الشعر اذاغته على الناس في شكل كتاب (٧٩) . ويؤسفني ان اتول ان الأستاذ شاكر لم يقل هذا ولا يمكن ان يقول هذا ، والا لانه يكون قد كذب نفسه بنفسه ، اذ هو قد انهم الدكتور طه حسين ايام زملائه الطلبة في سنة ١٩٢٦ ، ولا يزال يتهمه حتى الآن ، بأنه سطا على أفكار مرجليوث . وقد كان من اثر ايمانه بهذا الاتهام ان ترك كلية الاداب والجامعة كلها ولم يكمل تعليمه الرسمي . وعلى رغم اني قد اشرت قبلا الى كلام الأستاذ شاكر في هذه النقطة واوردت بعضه لاني سأسوته هنا ثانية لاهميته في الرد على هذه الدموى الخطيرة التي ان صحت لقلب القضية راسا على عقب . قال الأستاذ شاكر عن لقائه بالأستاذ أحمد تيمور ، الذي اعطاه فيه مجلة الجمعية الملكية الاسيوية (عدد يولية ١٩٢٥ المنشورة فيه مقالة مرجليوث) : « جاء يوم فالتقينا ، على عاكفنا يومئذ (سنة ١٩٢٥) ، في المكتبة السلفية عند استاذنا محب الدين الخطيب ، فلم يكذب يجلس حتى مد يده الى بعدد من مجلة انجليزية (عدد يولية ١٩٢٥ من مجلة الجمعية الملكية الاسيوية) ، وقال لي وهو يبتسم : اقرأ هذه ! فاذا فيها مقالة للأعجبي المستشرق مرجليوث تستغرق نحو اثنتين وثلاثين صفحة من هذه المجلة ، بعنوان « نشأة الشعر العربي » ... ثم بعد ايام لقيت أحمد تيمور باشا ، واعدت اليه المجلة ... ومرت الايام وغاص كلام هذا الأعجبي في لجج النسيان ... (الى ان يقول :) كان ما كان ، ودخلنا الجامعة ، وبدأ الدكتور طه يلقي محاضراته التي عزفت بكتاب « في الشعر الجاهلي » . ومحاضرة بعد محاضرة ، ومع كل واحدة يرتد الى رجع من كلام هذا الأعجبي الذي غاص في يم النسيان » (٨٠) . لا جدال في ان الفرق بين كلام الأستاذ شاكر وما نسب اليه الدكتور ابراهيم عبد الرحمن واضح تمام الوضوح وخطير جد خطير . وهو يعني ان الأستاذ شاكر لم يقل من قريب او من بعيد ان الدكتور

(٧٩) بين القديم والجديد/ص ٤٤٠ .

(٨٠) المقتب/السفر الأول/ص ١٥ - ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

طه كان يحاضر في موضوع الشعر الجاهلي عاماً بعد علم . وكيف يمكن ان يقول ذلك . طه حسين لم يحاضر في موضوع الشعر الجاهلي ، بل لم يحاضر في أي موضوع من مواضيع الأدب العربي في الا في السنة الدراسية ٢٥ - ١٩٢٦ ، حين تحول من تدريس التاريخ اليوناني والروماني الى تاريخ الادب العربي (٨١) . بل انه حتى في مقالاته عن الادب العربي التي كتبها قبل هذا التاريخ والتي نشرها بعد ذلك في « حديث الاربعة » ليس فيها ولا مقالة واحدة عن الشعر الجاهلي . انما ابداً يتناول التحليل والتفوق قصائد جاهلية منذ سنة ١٩٢٥ ، أي ان الشعر الجاهلي قبل العمام الدراسي ٢٥ - ١٩٢٦ . لم يشغل طه حسين ولا حاضر فيه ولا كتب عنه ، على خلاف مرجليوث (وهذه نقطة هامة جداً) ، الذي كان مشغولاً بهذا الموضوع منذ

سنة ١٩٠٥ على الاقل ، عندما أصدر كتابه Mohammed and the Rise of Islam الذي وردت فيه عبارة تلخص نظريته في الشعر الجاهلي تلخيصاً محكماً في كلمات قلائل ، هذا نصها بالانجليزية : The early Poetry is Largely fabricat on modelled on the Koran (٨٢)

(ومغادها انه يرى ان الشعر القديم (يقصد الجاهلي) ملق الى حد كبير على غرار القرآن) (٨٣) ، والذي ظل مشغولاً به الى ان كتب مقالاته المذكورة ، تحليل انه عاد فليس هذا الموضوع مرة أخرى وأبدى شكه في صحة الشعر الجاهلي في مقالة يعرض فيها كتاب « الخصائص » لابن جني وذلك سنة ١٩١٦ (٨٤) ، وكذلك في مادة « محمد » ، التي كتبها لـ Encyclopaedia of Religion and Ethics حيث يقول ما ترجمته « ومن ... غير المحتمل

(٨١) انظر ساليح كريم/ماذا يبقى من طه حسين/ص ٨١ ، ١٤٢ . ود . عبد الرحمن بدوي/الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين/ص ١٤ . (٨٢) قارن تواريخ مقالات القصائد الجاهلية مع مقالات القصائد الاموية في هاشم الصفحة الاولى من كل مقال ، وسوف يتبين لك هذا .

(٨٣) ص/٦٠ .

(٨٤) انظر ايضاً د . ناصر الدين الأسد/ص ٣٥٢ / ١٥ .

(٨٥) انظر د . ناصر الدين الأسد/الموضع لنفسه .

ان يمثل الشعراء والعرفاء الذين شبقوا مكيذا (عليه الصلاة والسلام)
مرحلة من التعليم ارقى . من هنا ، وبناء على التسلسل الطبيعي ، يبدو
ان اسلوب القرآن يتوسط بين الشخصيات الساخجة التي كانت تؤخذ في
جزيرة العرب على انها نظم للشعر وبين تلك القصائد المصنوعة الى حنة
كبير التي نقابلها في العصر الاموي . ويتربى على ذلك ان الشعر الجاهلي
ايضا ، ذلك الشعر الذي ينتهي ظاهريا الى عصر النبي والخلفاء الراشدين
هو شعر موضوع ... الخ (٨٧) ، اي ان طه حسين لم يسبق له قبل العام
الدراسي ٢٥ - ١٩٢٦ ان شغله الشعر الجاهلي ، على عكس مرجليوث
الذي كانت بذور نظريته موجودة في ذهنه بحيث انه كلما تناول موضوعا متصلا
بالشعر الجاهلي نبتت من هذه البذور اعشاب . وما ان انتصف عام ١٩٢٥
حتى رأى المتابعون للدراسات الاستشراقية (ولا شك عندي ان طه حسين
بوصفه واحدا من هؤلاء المتابعين قد رأى معهم) هذه الاعشاب قد تكاثرت
وانتشرت واستطالت سيقانها واصبحت نظرية مفصلة تقع في اكثر من ثلاثين
صفحة من مجلة الجمعية الملكية الاسيوية في ذلك الحين (وهو ما يقابل ثلث
كتابه « في الشعر الجاهلي » تقريبا ، لان هذه الصفحة تساوي صفتين
او اقل قليلا من صفحات هذا الكتاب) ، بل اني ارجح ان الدكتور طه كان
على علم بهذه النظرية في مرخطها الجنينية ، فقد كان متصلا ببيئة المستشرقين
في فرنسا وبعد عودته منها ، والمستشرقون عالم متصل بعضهم ببعض
اتصالا وثيقا ، عن طريق الندوات والمؤتمرات والمراسلات والدوريات
وتصادى الكتب ، الى جانب العلاقات الشخصية والزيارات . وليس من
المعقول ان مرجليوث لم يكن يتكلم مع زملائه واصحاقه من المستشرقين شفاها
او كتابة عن نظريته هذه بشيء من التفصيل ، ولو ليساهم العون او على
الاقل ليستأنس بأرائهم ، بل اغلب الظن انه كان يحاضر فيها طلابه في جامعة

(٨٦) انظر د. ناصر الدين الأسد/الموضع السابق حيث يشير الى موضع
هذا النص ، ولكنه لا يورده .

أكسفورد ، بل أن من الجائز جدا أن يكون مرجليوث قد أتم مقالته المذكورة قبل يولية ١٩٢٥ (تاريخ صدورها) بوقت (طويل أو قصير) . إذ ليس شرطاً أن ينشر الكاتب إنتاجه بمجرد الفراغ منه . وأغلب الظن أيضاً أن إصدار من هذا كله كانت تبلغ أذن طه حسين .

وثمة سبب آخر جد هام يجعلني استبعد عدم اطلاع طه حسين على بحث مرجليوث وتأثره به ، وهو أن الفواضع التي يلتفتان عليها في الشك في الشعر الجاهلي ليست مما يدخل في باب « توارد الخواطر » ، بل تحتاج إلى ذهن مركب تركيبة خاصة كذهن مرجليوث ، الذي كان يتشكك في كل شيء يتصل بالاسلام والأدب العربي ، ولذلك ما كان يقع على الحجة حتى يجعل منها قبة . فإذا قال القدماء إن في الشعر الجاهلي قصائد منجولة جاء هو وقال : بل كله منحول ، وهكذا . كذلك فإن ما خالف به الدكتور طه حسين مرجليوث في أصل فكرته ، أعني استثناءه من شكه بعض الشعر الجاهلي ، هو شيء جد ضئيل لا يؤبه به . . . وعلاوة على ذلك فإن قبة هذا الجزء من فكرة طه حسين ، بنص كلام مرجليوث ، الذي يعده بعض الباحثين « صك غفران » لطله حسين (ناسين أن البابا الذي أصدره هو باب أثيم لا ثقة في أحكامه ، فضلاً عن أنه لاحق له أصلاً في إصدارها) « قد اهتزت إلى حد ما ، بتأكيد المؤلف أن كثيراً من الشعر المنسوب إلى هؤلاء الشعراء شعر موضوع ، وملاحظة أن القصة الوحيدة الباقية عن أوس من صنع خيال سقيم ، وأن الرواة الذين وصل إلينا عن طريقهم خبر هذه الصلة الفنية بين شعراء هذه المدرسة يفصل بينهم (كذا) وبين آخرهم زمن طويل ، ولذلك فإن جزء النقض لا يعني الجزء الذي يوافق فيه مرجليوث (لا يزال أقوى أجزاء الكتاب » .

(٨٧) د . إبراهيم عبد الرحمن / إلى خصوم طه حسين ومؤيديه . النص الكامل لمسألة مرجليوث في « برائة حميد الأدب العربي » / إهرام الجمعة ١٩٨٦/٢/٧ .

والحقيقة أن مله حسين في هذا الجزء لم يقدم شيئا يدخل العقل ويبدو متناقضا مع نفسه ، أى أنه حين يتبعد عن مرجليوث لا يستطيع أن يصنع شيئا ، مما يدل على أنه قد استقى فكرته الأساسية وكثيرا من تفصيلاتها من هذا المستشرق .

أما انكاد الصحفي سامح كريم على ما نسبته الى الدكتور حسين نصار من أن مله حسين لم يكن يعرف الإنجليزية ، ومن ثم غاته لم يترجم ما في مقالة مرجليوث ويتأثر بها فهو آخر شيء يمكن أن يتوقعه الباحث (٨٨) . وأقول ما يوصف به هذا الدفاع هو أنه هزل ليس بالجد ، إذ من قتل أن الإنسان لا يستطيع أن يعرف شيئا إلا إذا كان على علم باللغة التي كتب بها ذلك الشيء ؟ أن معظم الناس يعرفون أشياء كثيرة من آداب الأمم المختلفة وأفكارها وهم لا يعرفون إلا لغة قومهم . وليس شرطاً أن يكون ذلك عن طريق الترجمة ، بل ما أكثر أن يتم طريق العرش والتفخيص مثلاً ، وقد يكون ذلك شفويا (في ندوة أو محاضرة ... الخ) . ثم انى أسأل سؤالا واحداً : وهل كان الرافعي يعرف الإنجليزية ؟ والجواب بالطبع : كلا . انكر أذن معرفته بمقالة مرجليوث ومضمونها ؟ أن الرجل قد أخبرنا أن يعقوب صروف قد أخبره بخبر هذه المقالة وأطلعته على ما فيها من آراء . وقد سلف أن قلت أن هذه أمانة علمية من الرجل . وأضيف هنا أن هذه الأمانة قد حرم منها ، فيما يبدو ، بعض الناس الذين تشير الدلائل الى أنهم قد عرفوا مقالة مرجليوث وما فيها ومع ذلك ينكرون وينكر أولياؤهم ذلك انكاراً شديداً .

(٨٨) انظر مقالة/وثيقة جديدة لمرجليوث تبرى عميد أدبنا من اتهام
استير ٦٠ عاماً/أهرام الجمعة ١٧/١/١٩٨٦ .

هل استوحى طه حسين نظريته في الشعر الجاهلي من وبنان ؟

ان عبد الرشيد الصادق يسوق لنا رد طه حسين على السؤال التالي الذي يعث به طاهر مفتاح ، الباحث التونسي : « يميل بعض المستشرقين ، عن غير حق في رأيي ، إلى ان يلتبسوا مصادر « في الشعر الجاهلي » في الدراسة التي كتبها مرجليوث عن الشعر القديم ، بدلا من ان يلتبسوها في الأدب الفرسي ، فما رأيك انت ؟ » (٨٩) وقيل ان اورد رد الدكتور طه حسين اتبه القارئ الى الطريقة المضحكة التي وضع بها الباحث التونسي سؤاله . انه بعد ان « يكتف » طه حسين بالمبادرة بقوله انه لا يعتقد صحة اخذه فكرة مرجليوث ، يتظاهر بأنه يريد ان يعترف الحقيقة منه . « وهل يعقل ان يعترف طه حسين على نفسه ويهدم مجده ويعطى خصومه سلاحا يحاربونه به ، وبخاصة امام مثل هذا الولي المحض الذي اصدر حكم البراءة قبل جلسة المحكمة ؟ هل يظن طاهر مفتاح اننا يمكن ان نتوقع ان يدق طه حسين بيده مسبارا في نعش شهرته ؟ اما بالنسبة لسامح كريم وغيره ، الذين يرون ان مرجليوث قد اصدر وثيقة البراءة القاطعة لطه حسين ، فاني اقول : وماذا تفعلون في المارجوليثين « اقصد « المستشرقين » » الآخرين الذين ذكر طاهر مفتاح انهم يلتبسون مصادر طه حسين في مقالة مرجليوث ؟ ومع ذلك فاننا لا نعتد الا على منطلق الوقائع التاريخية الثابتة وطبيعة الامور وسياقتها والمقابلة بين النصوص .

والآن انقل للقارئ رد طه حسين ، الذي لم يكن امامه (على ما وضحنا) غيره . قال : « ان المستشرقين الذين يعتقدون انني تأثرت بمرجليوث عندما كتبت « في الشعر الجاهلي » مخطئون بالتأكيد ، فانا لم اقرأ دراسة مرجليوث الا بعد سنة من صدور كتابي » . ايا ما يكن الامر فطه حسين ليس بالذي يعلو

(٨٩) من مقالة عبد الرشيد الصادق/ في ذكرى رحيل طه حسين (٢) .
المبيد ومرجليوث وفصل الخطاب/ اهرام الجمعة ١١/٧/١٩٨٦ .^(٩٠)

كأنه على المناقشة ، مما أكثر ما قال ثم تنكر لما قاله ؛ وعلى كل حال فمن قال أن عدم قراءته الكتاب (لو أصبح ما قاله) يمنع أن ينلثر بما فيه ؟ لقد عرف الزاغنى مثلاً مفسون الكتاب نفسه من غير أن يقرأه . هذا ، ولا يفوتنى هنا أن الذين تهافت منطلق من احتجاجوا بجهل طه حسين بالانجليزية بأن أسألهم السؤال التالي : وكيف استطاع طه حسين أن يقرأ هذه الدراسة ، كما يقول ، بعد سنة من صدور كتابه ؟ أترأه قد اتقن الانجليزية في هذه المدة ؟

ولكن عبد الرشيد الصادق يتجاهل هذه الصلة الواضحة بين مقالة مرجليوث وكتاب الدكتور طه ويحاول أن يقتنعنا أن طه حسين إنما استمد فكرته من رينان . وهو حين يفعل ذلك لا يعتمد على هذه الشبهة المضحكة التي ظن سامح كريم أنها شيء ، وما هي بشيء ! شبهة جهل طه حسين بالانجليزية ، فعبد الرشيد صادق ليس مجرد ملخص لما يقوله بعض الآخرين ، شأن سامح كريم ، بل يطمح إلى أن يأتي بفرض جديد .

والفرض الذي يقدمه عبد الرشيد الصادق بتلخيص في : أن طه حسين لم يطلع على مقالة مرجليوث قبل أن يكتب كتابه « في الشعر الجاهلي » بل بعدها بعام ، وأن خطبة بحثه تختلف عن خطبة مرجليوث ، وأن الذين اعتمد عليهما (فيما اعتمد عليهما) مرجليوث ، وهما الدليل اللغوي والدليل الديني ، كانا معروفين للمستشرقين الذين تناولوا هذا الموضوع قبل هذا المستشرق الانجليزي ، وأن طه حسين بالنسبة لهذين الدليلين قد تأثر برينان .

هذا هو الفرض الذي عرضه عبد الرشيد الصادق وأراد اثباته على مدى ثلاثة أسابيع في الصفحة الأدبية بأهرام جمع ١٩٨٦/١٠/٢١ و ١١/٧/١٩٨٦ . وسنتناول بالمناقشة عناصر هذا الفرض عنصراً عنصراً .

فأما بالنسبة للعنصر الأول ، وهو أن طه حسين لم يطلع على مقالة مرجليوث إلا بعد أن فرغ من كتابه بعام ، فقد ساق الباحث قول طه حسين المتضمن هذا المعنى ، والذي ناقشناه قبل قليل ، وانتهينا إلى أنه موضع

شك كبير ، بل وجعنا فيه أبلغ رد على هؤلاء الذين اعتمدوا على جهله بالانجليزية في نفى نائره ببحث مرجليوث . وعلى هذا فاني لا أجد داعيا الى اعادة تفنيده هنا . بيد ان عبد الرشيد الصديق لا يكتب بهذا الدليل بل يستشهد قبل ذلك بخطاب اورثته السيدة زوجة الدكتور طه حسين في كتابها عن ذكرياتها معه وقالت انه ارسله اليها لقاء تاليفه الكتاب . وهذا نمه : « منذ الامس لم اكف عن العمل الا من اجل ان اطعم واتام . اننى متعب قليلا ، لكنى سعيد جدا . انك تعرفين هذا النوع من الرضا الذى يمتب القيام بالواجب ، وذلك الشعور بان المرء على مستوى الرسالة التى كلف بها يرغم المصاعب التى يواجهها . لا ادري ان كان الطلبة يفهموننى ، لكنى كنت سعيدا وانا التى درسى قبل قليل ، فأبحاثى الشخصية تصل الى نتائج كبار المستشرقين نفسها . اتدريين اننى قررت الا اقرأ أبحاثهم الا بعد ان انجز أبحاثى لكى اكون على علم بها فقط » (٩٠) .

والحقيقة اننا في الظروف الحالية لا نستطيع ان نؤكد من صحة هذا الخطاب او زيفه عن طريق فحص الورق والحبر والخط الذى كتب به ومقارنته بخط الشخص الذى تنسب اليه كتابته ، اذ ليس هذا الخطاب بين ايدينا . ولا يصح ان يقال ان علينا ان نقبل كلام السيدة زوجة الدكتور طه حسين دونما مناقشة ، فان البحث العلمى لا يعرف هذه الاعتبارات . واذا كنت قد وضعت شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام واقواله بل تاريخه كله ، وهو من هو ، تحت مجهر البحث العقلى المجرد فى كتاب لى صدر من قبل (٩١) ، فلا اظن ان القارىء يتوقع منى ان اخذ كلام السيدة المذكورة مأخذ التسليم لمجرد أنها قالت ، وبخاصة ان فى كتابها ما يجعلنى اتردد كثيرا فى التسليم بما تقول فى مثل هذه القضايا . ولن اذهب بعيدا ، ففى الصفحة السابقة على تلك التى ورد فيها نص الرسالة السابقة نتحدث عن الدلائل

(٩٠) وانظر اهرام الجبعة / ١٩٨٦/١١/٧/ بالصفحة الادبية .

والمؤامرات ضد طه حسين في الجامعة ومخالفة القانون من أجل الكيد له وحرماته من الدرجة والمرتبة اللذين يستحقهما ، وكذلك عن عجز ظروف طه حسين عن تأييد مورد ثابت له ولاسرتة . ووجه الشك في هذا الكلام أن طه حسين بعد أشهر فقط من هذا التاريخ كان يقضى إجازة الصيف ، كما هي عادته ، في فرنسا ، فهل يمكن أن يقوم بهذه الرحلة ، فضلا عن أن يفكر فيها ، رب أسرة معجز عن توفير مورد ثابت لها ؟ بل ماذا تفعل الجنيحات القليلة التي كان يقضيها من الجامعة والصحف التي يكتب لها في مواجهة رحلة مثل هذه ، زائد الإقامة طوال الصيف في بلد كفرنسا مستوى المعيشة فيه مرتفع بالا يقاس بمصر في ذلك الحين ؟ ثم هل يسهل أن تصدق أن طه حسين وكان لا يزال في أول الطريق في الجامعة في ذلك الوقت ، طه حسين الذي كان وراء استقدام كازانوفا ، بما يعنى أنه ذر تنوذ في الجامعة يمكنه أن يستقدم من يريد من المستشرقين ليحاضروا في الجامعة ، طه حسين الذي لم يستطع أحد أن يمسسه في ذلك الحين حين ثارت زوابع قضية الشعر الجاهلي لوقوف الجامعة ومدير الجامعة ورئيس الوزراء وراءه ، بل طه حسين الذي نص بشبانه هو وحده من بين الأسانذة الآخرين ، في عقد تحويل الجامعة من أهلية الى حكومية ، على أن يتحول معها ولا يمس كانه جزء لا يتجزأ من الجامعة ، طه حسين هذا تحك له المؤامرات في الجامعة ، وفيها اصدقاؤه من المستشرقين والأسانذة الأجانب كما تعرف (٩٢) ؟ ثم ان تعصب هذه السيدة الشديدة والخالى من اصول اللياقة ضد كل من رد على زوجها في هذه المسألة التي ليست من اختصاصها وكان ينبغي ألا تزج بنفسها فيها يجعلنا نستقبل كل ما نقوله في هذا الامن بحذر شديد . لقد بلغ من تعصبها انها وصفت الجماهير المصرية بالجهل والتعصب . وهما نفس الوصفين اللذين اتخفت بهما علماء الدين المسلمين والكناب واعضاء البرلمان الذين استنكروا اقوال زوجها الطامعة في الدين

(٩٢) انظر « معك » ص ٧٤ .

١ م ٦ — معركة الشعر الجاهلي .

وفى الشعر الجاهلى (٩٣) ، على حين تصور الأوروبيين والقساوسة كلهم ملائكة ذوو أجنحة بيضاء . ليس هذا فقط ، بل اتنا نلاحظ أن طه حسين يتحدث لزوجه في الخطاب المذكور عن محاضراته في الجامعة كأنها شيء لا علم لها به ، مع أن زوجته كانت في أبي قير، أى داخل مصر . يعنى لم تغيب عنه إلا أياها ، بما يفيد أنها لا شك كانت على علم بهذه المحاضرات ، التى يقول زوجها لها أنه لا يعرف أيهما الطلبة أم لا ؟ . وهذا يقودنا الى السؤال التالى : وهل ما قاله طه حسين في الشعر الجاهلى من الصعوبة بحيث لا يمكن أن يفهمه طلبته ؟ وهل يمكننا أن نصدق أن أحدا من الطلبة ، واحدا فقط ، لم يناقش طه حسين ، ولا نقول يخطئه ، في آرائه عن هذا الشعر حتى لا يعرف طه حسين أيهمه الطلبة أم لا ؟ فأين ذهب محبوب شاعر ، وكان من طلبته في ذلك العام ، وقد ناقشه أكثر من مرة بل اعترض عليه ، في داخل المحاضرة وخارجها ، ولم تنحصر هذه المناقشات والاعتراضات فيما بين الطالب (١) وزملائه أيضا طبعا (٢) وبين الأستاذ ، بل امتدت حتى دخل فيها بعض المستشرقين مثل تليوت وجويدى (٩٤) ؟ ثم أن الخطاب بلا تاريخ محدد ، فكيف فأت هذا السيدة المذكورة ، وهى أوربية تعرف قيمة التواريخ بالنسبة للرسائل والمذكرات ؟

ومع ذلك كله (وقد تكون أخطانا في بعضه ، بسبب عدم التحديد الذى ينتسح به كل من الخطاب والظروف التى قيل أنه كتب فيها) فسوف نسلم به وبما جاء فيه ، فما الذى وجدته فيه عبد الرشيد الصادق مما ينفى معرفة طه حسين بمقالة مرجليوث إلا بعد أن بلغ في محاضراته عن الشعر الجاهلى مرحلة متقدمة كما يقول ؟ قبل أن أجيب على هذا السؤال أحب أن أبين للقارئ كيف أن هذا الباحث يتناقض من مقال لآخر . أنه يقول هنا أن طه

(٩٣) المرجع السابق/ص ٥٨ ، ٧٨ .

(٩٤) انظر هذه القصة في كتاب الأستاذ شاكرو/المتنبى/ السفر الاول/ ص ٢٠ — ٢٤ .

حسين قد اتاه نيا مقالة مرجليوث وقد بلغ من محاضراته مرحلة متقدمة (وقد حدد تاريخ هذه المحاضرات بعد سطور بالعام الدراسي ٢٥ - ١٩٢٦) ، ولكنه في المقالة التالية يقول : « ان العميد كان يلقى محاضراته قبل عام على الأقل من اصدار الكتاب ، اضافة الى اقوال مرجليوث نفسه التي تؤكد سبق صدور كتاب طه حسين على صدور كتاب « المستشرق » (٩٥) . فكيف بالله يتسقى قوله ان نيا مقالة مرجليوث قد اثنى طه حسين وهو يلقى محاضراته في الشعر الجاهلي في عام ٢٥ - ١٩٢٦ (اي لأول مرة ، لانه قيل ذلك كان يحاضر في التاريخ اليوناني والروماني) مع قوله بعد اسبوع واحد ان طه حسين كان قد حاضر في موضوع الشعر الجاهلي عليها على الأقل من قبل ؟ (الحيد لله على كل حال ان هبط بالفرق عابا (وان تحفظ بقوله « على الأقل ») بعد ان كان الدكتور ابراهيم عبدا الرحمن قد جعله عابا بعد عام ، اي عدة اعوام) . بل ان الباحث تبلغ به الجراءة ان يقول في ثقة بحسد عليها ان كتاب طه حسين قد ظهر قبل (كتاب) مرجليوث بعام باعتراف مرجليوث نفسه . والواقع ان هذا اضطراب شنيع وجسدال عقيم مزعج يتناقض مع اوليات المنهج العلمي وامانة القلم . فاولا ، لم يحدث ان قال مرجليوث ان كتاب طه حسين قد صدر قبل « كتابه » (ودعنا من تسمية « مقالة » مرجليوث كتابا) ، بل كل ما قاله بنص ترجمة الدكتور ابراهيم عبدا الرحمن لتعليق مرجليوث على كتاب « في الادب الجاهلي » لطله حسين ، ذلك التعليق الذي ادار عليه سامح كريم جانبا كبيرا من مقالة له في نفس الصفحة الادبية ، بأهرام الجمعة ١٧/١/١٩٨٦ (اي قبل مقالة عبد الرشيد الصديق ، الذي تحتفى به هذه الصفحة جدا بما يعنى انه على اتصال بها وثيق بنحو عشرة اشهر) ان « البحث الذي اتيه صاحب هذا المقال (مرجليوث) من اصول الشعر العربي ... نشر في نفس الوقت الذي نشر فيه طه حسين كتابه » . وقد سبق ان بينا بالدليل القاطع الذي لا يمكن ان يرد ان هذا المستشرق كذاب

كذاب كذاب ، لأن فرق عشرة أشهر لا يقال عنه أنه «نفس الوقت» فكيف بمن يقول ان مرجليوث قد ذكر ان كتاب طه حسين قد صدر قبل مقالته ؟ (حتى لا ينسى القارئ اكرر ان مقالة مرجليوث ظهرت في أول يولية ١٩٢٥ على حين ظهر كتاب طه حسين في ابريل (على الأقل) ١٩٢٦) . فهذه واحدة .

أما الثانية فهي قول عبد الرشيد الصادق « انه يستدل من رسالة طه حسين الى زوجته ان نيا دراسة مرجليوث قد جاءه وقد بلغ في محاضراته مرحلة متقدمة ، واجتمع له من الفوائج ما يمكن ان تقارن بنتائج «كبار المستشرقين» (٩٦) .

وأرجو من القارئ ان يرجع الى الرسالة ، وقد أوردناها قبل قليل ، ليرى بنفسه ايمن الاستدلال على هذا منها ام لا . ان الرسالة لا تقول شيئا من هذا الا لمن يلويها عن طريقها الى الطريق الذي يفسرها على السريه .

ان عبارة الرسالة هي : « فإبحاثي الشخصية تصل بي الى نتائج كبار المستشرقين نفسها » ، فقول في هذه العبارة ما « يستدل منه ان نيا دراسة مرجليوث قد جاءه وقد بلغ في محاضراته مرحلة متقدمة » ؟ بالطبع كلا ثم كلا . وحتى لو افترضنا ان ما فهمه الباحث صحيح ، ايدري ماذا يترتب على ذلك ؟ انه يترتب عليه ان طه حسين حين قال انه لم يقرأ دراسة مرجليوث الا بعدما بعام لم يكن آمينا ، لانه كان ينبغي عليه ان يضيف انه مع ذلك قد عرف بنيتها وبما تحتويه اثناء محاضراته وقبل ان يكتب كتابه (او على الأقل ، قبل ان يصدره) ، وهذا يدفعنا الى مزيد من الشك في أقواله . أما فهمي انا فهو انه هنا يشير الى مقالة مرجليوث ، التي قد بينت قبل ان من الصعب جدا الا تكون قد وصلت ، بعد ان وصلت الى أحمد تيمور باشا ويعقوب صروف ، اللذين لم يشأ أى منهما ان يحتج معرفة ما فيها لنفسه ، فأعطاهما الاول للطالب محمود شاكر ليقرأها ، وأطلع الثاني الاستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله على محتواها . ومن المؤكد انهما لم يكتفيا باخبار شاكر والرافعي بل

فعلا ذلك مع كثيرين غيرها ، وهذان فعلا الشيء ذاته مع آخرين ، وهكذا . وكيف يمكن ألا تكون قد وصلت طه حسين مقالة مرجليوث وقد كان معروفا من قبل أنه سيدرس الأدب العربي (والجاهلي بالذات) في العام التالي ؟ فهل يعقل أن المستشرقين الذين كانوا على صلة وثيقة به والذين يستحيل ألا تكون المجلة قد وصلت إليهم (على ما بينا سابقا) لم يخبروه بهذا وبمحتواها ؟ إذن غفيم كانوا يتحدثون في الكلية وفي بيته ان لم يكونوا يتحدثون في هذه المسائل ؟

وبالمناسبة فقد كان مرجليوث هو رئيس تحرير مجلة الجمعية الملكية الآسيوية (٩٧) . أقول هذا فقد يلقي الضوء على عبارة « كيار المستشرقين » التي استعملها طه حسين في خطابه الذي ذكرت زوجته أنه أرسله إليها . وطه حسين ، ان صح أنه كاتب هذه الرسالة ، يقصد بعبارة تلك أنه قد وجد نفسه قد انتهى الى النتائج التي اطلع عليها من قبل لمرجليوث ، بمعنى أنه بما أن قرئت عليه المقالة لم يشأ أن يستعين بها في بحثه ، وفضل أن يبدأ من البداية ، فإذا عقله يقوده الى نتائج مرجليوث (مع بعض الاختلافات غير الأساسية ، كما مر قوله) . هذه هي الترادف الصحيحة لهذه العبارة . وعلى أي حال لا يمكن أن تشير الى رينان ، الذي يفترض عبد الرشيد الصادق أنه هو منبع فكرة طه حسين عن الشعر الجاهلي . لماذا ؟ لأن طه حسين لو كان يقصد رينان بذلك لقال هذا لمفتاح طاهر ، الذي سألته عن الشخص الذي تائر به في شكه في الشعر الجاهلي ، فقال اتبها الاخوان بكروا: به مؤرخا الأدب اليوناني ، فان مثل هذه المسائل لا تنسى أبدا (٩٨) . على أن ثمة سببا آخر يجعلني استبعد أن يكون طه حسين قد قصد رينان بقوله

(٩٧) انظر نجيب المقيتي/المستشرقون/٢/ص ٧٧ ، ود. محمد مصطفى هدارة / قضية الشك في التراث الجاهلي . مرجليوث وطه حسين وعبد الرحمن بدوي/أهرام الجمعة/١٩٨٦/١١/٣ .

(٩٨) انظر عبد الرشيد الصادق/العبيد ومرجليوث وقصص الخطيب/أهرام الجمعة ١٩٨٦/١١/٧ .

« كبار المستشرقين » . هذا السبب هو أن رينان لم يفته الى هذه النتائج ، بل بالعكس كان هذا المستشرق يؤمن بصحة الشعر الجاهلي ايما شديدا (٩٩) . وسوف نناقش هذه النقطة بشيء من التفصيل فيما بعد . وهكذا يرى القارئ أن كل الطرق مسدودة امام مثل هذه المحاولات . كذلك فإن طه حسين ، فيما أعلم ، لم يذكر رينان في كتاباته حتى ذلك التاريخ ، بل لم يرد لهذا المستشرق ذكر في الجزء الثالث من « الأيام » حيث ذكر طه حسين أسماء مؤلفين كثيرين من الذين قراهم مع خطيبته (وزوجته فيما بعد) ، ولا حتى في كتاب « في الشعر الجاهلي » ، وهو ما يوحي (على الأقل) بأن رينان ليست له في فكر طه حسين تلك الاهمية التي يخلعها عليه عبد الرشيد الصادق . وأحب أن أقتف قليلا عند قول الباحث هنا : « فإذا أراد خصوم طه حسين أن يواصلوا الجدل بعد هذه النقطة (يقصد استدلاله الذي ناقشناه آنفا) فعليهم أن يكذبوا طه حسين ، وأن يفترضوا أنه قد قرأ دراسة مرجليوث مترجمة او ملخصة بالعربية في الوقت المناسب للتأثر بها (أي في الفترة الواقعة بين وصول المقالة الى مصر وبدايات العام الدراسي ٢٥ — ١٩٢٦) . فإذا اتبعوا هذا الطريق واجهناهم بما يهدم كل دعاوهم » (١٠٠) . واني في الحقيقة لا ادري أهذا تهديد ام احراج أم ماذا ؟ إن كان يقصد بذلك أنه سيذكر رد الدكتور طه حسين على مفتاح ظاهر الذي ذكرناه آنفا فقد قلنا رأينا فيه . أما أن كان يريد أن يقول أنه يحتفظ بورقة في يده سيلعبها عند اللزوم حينما يتدفع خصوم طه حسين « والحمد لله » الذي لم يجعلني سبحانه واحدا منهم (بعناد وتهور معلنين أنهم يكذبون طه حسين ، فإن هذا ليس من المنهج العلمي في شيء ، لأننا في العلم لا تدبر المؤامرات

(٩٩) انظر عبد الرشيد الصادق/العبيد ومرجليوث والنقد الحديث/ اهرام الجمعة ١٠/٣١/١٩٨٦ .
(١٠٠) العبيد ومرجليوث وطه حسين/الصفحة الادبية باهرام الجمعة ١١/٧/١٩٨٦ .

لبعضنا البعض ، بل نتعاون معا في سبيل نشدان الحقيقة . وأنا عن نفسي أعلن لأبيرة الثالثة على الأقل في هذا البحث (وهو ما افعله دائما في كل بحوثي) اننى بشر أصيب والخطيء ، وأن من الممكن أن تكون أشياء قد غابت عنى ، ومن الممكن اذا ظهرت أن تغير بعض آرائى أو كلها . وبرغم هذا فانى أعلن كذلك (للمرة الثالثة أيضا) لا أذكر (أن تصريحات طه حسين ليست لها عصية ولا قداسة . وانما هى كلام قابل للدرس والفحص ، ويجوز عليه الصدق والكذب . ولا اظن أن هذا يقضب أى عاقل منصف) . وهو نفسه قد شك ، في كتابه الذى يدرر عليه بحثنا ، شكاً عاصفاً في الشعور الجاهلى بل أعلن أنه لا يبالي بأقدس مقدساتنا نحن المسلمين ، ومع ذلك فقد قلت بصراحة لا مواربة فيها أن هذا حق (يقض النظر عن موافقه) . باختصار اذا كان عند هذا الباحث شيء لم يذكره وبخبرته ليخرج به من سهام خصوم طه حسين فقد كان ينبغي عليه ألا يفعل ذلك . ولا تزال أمابه الفرصة ليعرض علينا ، نحن الباحثين عن الحقيقة (لا نحن خصوم طه حسين ، فليست خصمه وانما أنا خصم الباطل) . والى أن نفعل (أن لم يكن قد فعل ، بإشارته الى رد طه حسين على مفتاح طاهر) ارانى لا أجد أملى إلا أن اتيسك بكل آرائى ومواقفى تجاه ما قاله هو أو قاله الدكتور طه حسين .

ولكى أعطى القارئ فكرة عن حقيقة تصريحات طه حسين ومدى أهليتها للثقة أذكر له أنه قال في رسالته لزوجه (أن كان قد كتبها فعلا اليها) : « اننى قررت ألا أقرأ أبحاثهم (أى أبحاث المستشرقين) إلا بعد أن انجز أبحاثى لكى أكون على علم بها فقط » (١) . ويقض النظر عن أنى لا انهم أن يحرص طه حسين على اخبار زوجته في خطابه بقرار كهذا كانه من الاسرار الملحة التى لا يستطيع أن يؤجلها حتى تعود من

(١) العميد ومرجليوث وطه حسين / الصفحة الأدبية بأهرام الجمعة ١٩٨٦/١١/٧ .

- أبى قير ، ورغم أن مثل هذا القرار يجاقب منهج البحث ، الذى يستلزم أن يلم الباحث بكل ما يمكن أن يشع يده عليه من دراسات سابقة ، لأن المسألة مسألة تعاون لا مسألة كبرياء شخصية ، فأتى الفت نظر القارئ الى أن طه حسين فى أول كتاب كتبه بعد هذه الرسالة (وهو كتاب « فى الشعر الجاهلى » قد ألفى ، فيما يبدو هذا القرار الخطير (أم يُسميه ؟ أم سها عنه ؟) رغم أنه لم يكن قد مر على اتخاذ وقت يذكر ، إذ أنه فى فصل « الدين وانتحال الشعر » من هذا الكتاب قد لخص بحث كليمان هوار فى المجلة الآسيوية سنة ١٩٠٤) الذى تحدث فيه عن أمية بن الصلت واسترداد القرآن من شمره (٢) . كذلك ففى الطبعة الثانية من هذا الكتاب ، التى سميت « فى الأدب الجاهلى » نراه يستشهد ببحث للمستشرق أغناطيوس جويدى بالعربية واللاتينية عن اللغة العربية الجنوبية القديمة (٣) . فما القول فى هذا ؟ أترى عدم التزامه بهذا القرار الخطير أمرا عارضا ؟ إذن فاعلم (وهذا مجرد مثال) أنه فى سنة ١٩٣٧ حين وضع كتابه « مع المتنبى » لم يبال أيضا بهذا القرار فقد رجع الى كتابى بلاشير وما سينيون عن المتنبى وكتاب هذا الأخير عن الحلاج (٤) ، بالإضافة الى أنه أخذ نظرية بلاشير فى قرمطية المتنبى وبنى عليها كتابه . هذا من ناحية القرار . على أن فى كتاب « مع المتنبى » دليلا آخر على ما كررته فى بحثى هذا من أن كلامه عندى ليس أهلا لكبر ثقة . كيف ؟

(٢) انظر الشعر الجاهلى / ص ٨٢ ، ٨٥ .

(٣) انظر فى الأدب الجاهلى / ص ٨١ ، فى الهامش .

(٤) انظر هوامش صفحات ٩٢ ، ١٠٤ ، ١٤٥ ، ٢٠٧ ، ٢٦٩ .

٢٧١ / ج ١ من هذا الكتاب .

اسمع أولا ما يقوله د . طه عما طلبه من كاتبه وهو يذهب للسفر مع أسرته إلى فرنسا ، كعادته كل صيف تقريبا :

« طلبت إلى صاحبي حين كان يجي مع ما ينبغي أن يحمله من الكتب إلا ينسى ديوان المتنبي . ولم اطلب اليه أن يحمل ديوانا آخر من دواوين الشعر القديم أو الحديث ، وإنما طلبت ديوان المتنبي وحده ، وأريد صاحبي أن يحمل ما في مكتبي من الشروح التي كتبها القدماء والمحدثون يفسرون بها هذا الديوان ، فأبيت عليه هذا كله ، وتقدمت إليه في أن يكتفي بأيسر طبعة من طبعات المتنبي ، لأنني لا أريد درسا ولا بحثا وإنما أريد صحبة ومرافقة ليس غير » (٥) .

أن هذا ليس موضع ابداء الرأي في دراسة طه حسين هذه عن المتنبي ، فقد تكفل بذلك كتسابي عن حياة الشاعر وشخصيته ، ولكن الذي أريد أن أقوله هو أن كتاب طه حسين ، برغم ما قاله عن أنه لم يتخذ معه إلا أيسر طبعة من ديوان المتنبي أنه لا يريد بحثا ولا درسا ، يتلوه بالمراجع القديمة والحديثة عن المتنبي وشعره . وليرجع من شاء إلى الكتاب ، وسوف ينفرغاه دهشا . وثمة سبب آخر يتفق عليه عبد الرشيد الصادق بناء عليه أن يكون طه حسين قد أخذ فكرة كتابه من مرجليوث . وهذا السبب هو أنه يحرص الاتفاق بين الدكتور طه حسين والمستشرق الانجليزي ، في « الدليل اللغوي ودليل المحتوى الديني » ويؤكد أن هذين الدليلين ليسا من ابتداء مرجليوث ولكنهما من قبيل الأفكار الشائعة في كتابات المستشرقين الذين تناولوا الشعر الجاهلي في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . وذلك بالإضافة إلى قوله أنه ليس صحيحا أن هناك تطابقا تاما بين مرجليوث وطه حسين في هاتين النقطتين وأن ترتيب طه حسين لأفكاره يختلف عن ترتيب

مرجيوث (٦) . ولارد على ذلك نقول ان نقط الاتفاق بين طه حسين ومرجيوث لا تقتصر ابداً على هذين الدليين . وقد بينا بالتفصيل قبل صفحات ان الامر اوسع واعمق من ذلك بما لا نرى معه حاجة الى اعادة القول فيه هنا ، اللهم الا ان نشير ثانية الى ان اساسيات فكرة طه حسين وفكرة مرجيوث متشابهتان ، وان مالا يضافه طه حسين بعد ذلك لم يكن ليوجد لولا هذه الفكرة الاساسية . ثم هل ترائى حاجة الى ان اسوق رأي مرجيوث ، الذي نص نمسا واضحا لا يقبل جدالا او تاويلا ان « فكرة الكتاب مماثلة الى حد كبير للفكرة التي ادرت حولها بحثي عن اصول الشعر الجاهلي » ؟ انني اتفق مع عبد الرشيد الصادق على انه ليس هناك تطابق تام بين مقالة مرجيوث ومقالة طه حسين . ولكن هذا لا يعني ان طه حسين لم ياضف فكرة الرجل ويصوغها بأسلوبه ويضيف اليها بعض النقط الفرعية . اما مسألة الاختلاف في ترتيب نقاط البحث عند مرجيوث وطه حسين فهذه مسألة شكلية لا تقدم ولا تؤخر كثيرا .

وحتى لو سلمنا بان المسألة محصورة في « الدليل اللغوي ودليل المحتوى الديني » فليس معنى كون هاتين الفكرتين ترائيا مشتركا في كتابات المستشرقين السابقين على مرجيوث ان طه حسين لم يتأثر بهذا المستشرق وتأثر بمن قبله « وبالذات رينان » كما يريدنا الباحث ان تصدق . لماذا ؟ أولا ، لان اشارة طه حسين في رسالته « ان سلمنا بها » لا يمكن ان تعني رينان ، كما شرحنا من قبل . وثانيا ، لانه لو كان الامر كذلك فلماذا لم يكتب طه حسين بحثه الا في اعقاب دراسة مرجيوث مع ان

(٦) انظر مقالتي عبد الرشيد الصادق في الصفحة الادبية في اهرام الجيزة ٢١/١٠/١٩٨٦ و ٧/١١/١٩٨٦ .

بحوث ريتان ونولدكه وغيرها قد سبقت مقالة مرجليوث بوقت جد
طويل ؟ قد يجاب بأنه لم يتول تدريس الأدب الجاهلي الا ذلك العام .
ولكن أيمن أن نظن أن طه حسين ، لو أن هذه الفكرة كانت في ذهنه
قبل مرجليوث ، كان سيصير على كتابتها وهو الكاتب الغزير الانتاج
الذي لا يظن أن يكتف رايًا رآه حتى لو تراجع عنه بعد ذلك ؟ ثم لماذا
كتب طه حسين في الشعر الأموي والشعر العباسي قبل ذلك ولم يكتب
في الشعر الجاهلي لو كانت عنده هذه النظرية الخطيرة ؟ ولا يتولن
معتز أنه لم يكن قد كونها بعد ، والا فالسؤال هو : وكيف استطاع
أن يكونها هكذا سريعًا لو كانت من بنات أفكاره ؟ (٧) أن طه حسين ،
على كثرة ما كتب قبل سفره الى فرنسا وبعد عودته من بعثته الى أن
الف كتابه هذا لم يتعرض ، فيما نعلم ، لصحة الشعر الجاهلي في شيء ،
مع أنه كانت هناك فرصة جد مفسرية أمامه لاثارة هذا الموضوع لو كان في
ذهنه أي شك فيها قبل ظهور مقالة مرجليوث . وهذه الفرصة هي
ظهور « تاريخ آداب العرب » للرافعي ، فقد قرأه طه حسين ، وكان
كلّ شيء هو الزعم بأنه لم يفهم منه شيئًا ، مع أن الرافعي قد عالج في كتابه
هذا تلك القضية باحاطة وتفصيل . وقد كان أمام طه حسين الفرصة
من سنة ١٩١١ « تاريخ ظهور كتاب الرافعي » الى ١٩٢٥ ليقول ما عنده في
الشعر الجاهلي لو كان عنده شيء . والمعجب ذو المغزى أن طه
حسين ، الذي لم يفهم هذا الكتاب (وهو يقصد بذلك طبعًا «التفصيل»

(٧) انظر قائمة كتاب طه حسين / مع المتنبي / ج ٢ وبالذات ص
٧٠٥ — ٧٠٦ حيث يبسط القول بعض الشيء في ظروفه (في مصر) التي
تمنعه من التعمق في البحث والدرس وتجعله يكتفى من ذلك بالهين اليسير ،
لتدرك معنى قوله أكثر من مرة في بحثي هذا أنه قد كتب كتابه « في
الشعر الجاهلي » على عجل ، وبخاصة أنه كان بين يديه أو في ذاكرته
فكرة مرجليوث ، التي اخذها وأضاف اليها بعض الفرعيات وانحطها »

من شأنه وشأن مؤلفه) يعود بعد ظهور مقالة مرجليوث فيثنى عليه وعلى صاحبه . وتفسير ذلك عندي هو أنه أراد أن يتخذ الراقعي رداً من ناحيتين : فمن ناحية أراد أن يقول لمن يعرف أنهم مسيبيون للتفنيد رايه المتسم بالنهات والغلل المجاوز لكل منطق : أنتى لست وحدى الذى شك فى هذا الشعر فى عصرنا هذا ، بل هذا هو الراقعي المتحمس للقديم قد فعل ذلك قبلى . ومن ناحية ثانية ظن أنه بالنسبة على الراقعي سوف يخضره فلا يتناوله بالنقد والتسفيه . ولكن هذه الحيلة ، كما تعرف ، لم تجز على الراقعي ولا على غيره .

فاذا تذكرنا ما اشرنا اليه قبل ذلك من أن رينان لم يشك فى صحة الشعر الجاهلى بل كان على العكس يؤمن بها ايمانا شديداً وأن طه حسين لم يشر قط الى رينان تأكد لدينا أن محاولة الربط بينهما هى محاولة مقضى عليها بالفشل (٨) . أما قول عبد الرشيد الصادق أن دليلي النعمة والمحتوى الذي قد به «نبيها رينان» وأن لم يرتب «نبيها نفى الشعر الجاهلى» وأخذها عنه نولذكه ومرجليوث فهو يسدل عندنا على نادر طه حسين بهذا الأخير ، على اعتبار أنه آخر من كتب فى هذا الموضوع ، فإن للجديد دويه الذى يلفت اليه الاسماع والابصار ويتسلط به على العقول وبخاصة أن مرجليوث هو أكبر من آثار هذه القضية فى كتاباته (٩) . علاوة على أن تشابه فكرة طه حسين مع فكرة مرجليوث أوضح وأبرز وأشمل ، لأنه لا يقتصر على الدليلين المذكورين . ومن جهة أخرى فإن مرجليوث وطه حسين قد انتهيا الى الشك فى الشعر

(٨) — انظر فى ذلك مقالتي عبد الرشيد الصادق فى الصفحة الأدبية فى أهرام الجمعة ١٩٨٦/١٠/٢١ و ١٩٨٦/١١/١٤ .
(٩) انظر د. شوقي ضيف / العمر الجاهلى / ص ١٦٦ .

الجاهلي (على عكس رينان) ، وأن عم الاول شكه واستثنى الثاني من
الشك بعض هذا الشعر (على غموش وضعف في الأساس الذي يشي
عليه الاستثناء ، كما سبق القول) .

كذلك فقد يدل على أن ثمة علاقة كانت بين طه حسين ومرجليوث قبل
مقاله هذا الأخير ، بما يعنى أن طه حسين كان يتابع ما يكتب هذا المشرق ،
أن الدكتور طه حسين لما ذهب إلى أكسفورد بعد ظهور كتابه بعلمين
نزل هو وأسرته ضيوفا على مرجليوث وزوجته ، التي أعتنت بطفله المريض
آنذاك عناية كبيرة (١٠) ولو لم تكن بينهما علاقة قبل ذلك (وليس شرطاً
أن تكون علاقة مقابلات وزيارات بل قد تكون علاقة فكر وتبادل آراء)
لنزل طه حسين وأسرته في منزل بنك المدينة أو بسكن من مساكن
الجامعة هناك مثلاً ، فإن التحفظ الانجليزي معروف وبخاصة تجاه
الغريباء .

هل ترانا بعدنا عن الراجعي ونسيناه ؟ لا أخال ، بل منه ننتلق
والله نمود ، وكلا ننسى اذكر القاري بأن الراجعي هو ، على قدر
علمنا ، أول من اتهم طه حسين (كتابة) بالسرقة من مرجليوث .
صحيح انه عاد فقال : أن احدهم قد نبهه إلى أن طه حسين قد أخذ فكرته
من بعض مشرقى اللسان الذين أصدروا في باريس كتاب « الشعر
العربي قبل الإسلام » ، إلا أن هذا لم يكن رجوعاً منه عن ربط طه
حسين بمرجليوث ، فإن في كلامه عبارة توحى بأنه يتصدد أن الفكرة كانت
موجودة عند المشرقين قبل مرجليوث . وهذا نص عبارته التي تعطى
هذا المعنى : « ولكن أحد الفضلاء نبهنا إلى انه قبل جحا (يقصد

مرجليوث (قد كان ابو دلالة) يقصد المستشرقين الالمان المتقربين اليهم (١١) . ولكيلا ننسى ايضا اذكر القارىء بان اتهام الرافعى لعله حسين لم يقتصر على الاخذ من مرجليوث ، بل شمل كليمان هور وغيره . وقد بينا في الصفحات السابقة الى اى حد يصح هذا الاتهام بما يدل على ان ما قاله الرافعى لم يكن كلاما في اللغو القاه على عوايته .

هل ما قاله له حسين هو نفس ما قاله ابن سلام ؟

غير أن بعض من عالجوا من العرب هذه القضية في الآونة الأخيرة ، وهو الدكتور عبد الرحمن بدوي ، ادعى أن « النتائج التي انتهى إليها ابن سلام الجيحي والأسباب التي ساقها لبيان منشأ الانتحال والتزييف والزيادة في الشعر الجاهلي ... هي هي عينها النتائج والأسباب التي أوردها الدكتور طه حسين في كتابه « في الشعر الجاهلي » أو كتابه المعدل هذا . ثم عقب هذا البعض على ذلك متسائلا : فعلام إذن كل هذه الضجة الزائفة التي اثيرت حول هذا الكتاب حتى نعتوا صاحبه بها شاقا من النعوت ، فانتبهوه بالمروق والمنهج على التراث العربي العريق ، والرغبة في تحطيم امجاد العرب ، والانسياق وراء « مؤامرات » المستشرقين « ولهذه الكلمة في ذهن كل أو جل المشتغلين بالأدب العربي معان غريبة معنة في التضييل والايهام والتهاويل » . فهل كان ابن سلام الجيحي (١٤٥ - ٢٣١ هـ) مستشرقاً هو الآخر متأمرا على التراث ؟ « (١٢) » .

والواقع أن هذه الكلمات على قلتها محشوة بالمغالطات الشنيعة ، فهل حقيقة إن لكلمة « المستشرقين » في أذهان كل « المشتغلين » بالأدب العربي (وأن تراجع الكاتب مقال « أو جلهم ») معان غريبة معنة في التضييل والايهام والتهاويل ؟ أن كثيرا من المشتغلين بأدبنا للأسف يرددون آراء المستشرقين كالبغاوات . والدكتور بدوي بحكم اتصاله ببيئات المستشرقين وأعجابه الشديد بهم يعرف هذا جيدا ، فكان عليه ألا يستخدم

(١٢) انظر د. هدارة / قضية الشك في التراث الجاهلي / اهرام الجمعة ١٩٨٦/١/٣ / الصفحة الأدبية .

« كل » ، وهو الدارس للفلسفة والمنطلق ، اللذين من شأنهما ان يعودا المتخصص فيهما ، حتى لو لم يكن فيلسوفا ولا منطقيا ، ان يكون دقيقا في عباراته . كذلك فان آراء طه حسين ، التي كما رأينا قد نقلها عن عدد من المستشرقين لا يمكن ان تكون ابدا هي نفسها آراء ابن سلام . وليس المصرب هم وحدهم الذين يرفضون آراء أمثال مرجليوث وطه حسين ومن لف لفهما ، بل الحقيقة انهم ليسوا أول من فعل ذلك . وقد كان أحمرى به وهو الذي جمع ما قاله المستشرقون في قضية الشعر الجاهلي ان يعرف هذا قبل غيره . هل كان رينان يشك في الشعر الجاهلي ؟ لقد تكلم عبد الرشيد الصادق ، كما رأينا فيما سبق ، وما ساقه من كلام رينان الإجابة على هذا السؤال بالنفي (١٣) . ولأيل ، ألم يرد على مرجليوث ويغند آراءه ؟ (١٤) ومثله أيضا برونيثس (١٥) . ثم ما رأى الدكتور بدوي فيما قاله جورجيو ليفي دلافيدا في هذا الموضوع ؟ ألم ير هو أيضا انه قد بولغ في مسألة وضع الشعر الجاهلي ونحله . . . (وان) مجبوع الرواية الشعرية في جملتها صحيحة أصيلة ؟ (١٦) وكذلك ما رايه في نقض آربري ، المشرق الانجيزي لنظرية مواطنه مرجليوث في أصول الشعر العربي ؟ (١٧)

- (١٣) انظر عبد الرحمن الصادق / مقالاته عن طه حسين ومرجليوث في اهرام الجمعة ١٩٨٦/١٠/٣١ و ١٩٨٦/١١/١٤ .
(١٤) انظر د. ناصر الدين الأسد / ص ٣٦٧ — ٣٧٤ .
(١٥) — انظر مثلا د. شوقي ضيف / العصر الجاهلي / ص ١٦٦ ، ود. هدارة في مقالته بالصفحة الأدبية بأهرام الجمعة ١٩٨٦/١/٣ .
(١٦) — انظر د. ناصر الدين الأسد / ص ٣٧٤ — ٣٧٦ وانظر كذلك ما كتبه دلافيدا نفسه عن هذا الموضوع في مقالته عن طه حسين / ص ١٦٩ — ١٧٠ من كتاب « طه حسين كما يعرفه كتاب عصره » .
(١٧) — انظر مقالة د. هدارة في الصفحة الأدبية بأهرام الجمعة ١٩٨٦/١/٣ .

وهذا هو الموقف الذي انتهى اليه المستشرقون بوجه عام ، كما يقول هذا المستشرق نفسه (١٨) . أم ترى هؤلاء هم أيضا من المشتغلين بالأدب العربي الذين لكلمة « المستشرقين » في أذهانهم معان غريبة معنة في التضييل والابهام والتهاويل ؟ ثم هل يمكن أن نصدق أن طه حسين وحده من دون من سبقوه من لدن ابن سلام إلى وقت ظهور كتابه « في الشعر الجاهلي » هو الذي فهم ما قاله النقاد العرب القديم ، بعد أن أخطأ السابقون فهمه طوال هذه القرون المتطاولة ؟ بل كيف انتهى طه حسين نفسه على مصطفى صادق الرافعي وما قاله عن الوضع في الشعر الجاهلي (في كتابه « تاريخ أدب العرب ») ، على ما مر بنا ، والرافعي ، إذا سلمنا بما قاله الدكتور بدوي عن تطابق ابن سلام وطه حسين ، قد أخطأ في فهم ابن سلام وهل هاجم ابن سلام القرآن وشكك في مصدريه النبوي كما فعل طه حسين ؟ (للمرة الثالثة أقول : اني لا أصادر حرية طه حسين ولا غير طه حسين في الجهر بما يريد ، ولكن هذه هي حقيقة آراء طه حسين ، وإن حاول بعض أن يوهوا ذلك) أن خير رد على دعوى د. بدوي أن طه حسين لم يفعل أكثر من أنه انتهى إلى نفس النتائج والأسباب التي انتهى إليها من قبله ابن سلام هو إيراد ما قاله هذا النقاد العربي القديم والمقابلة بينه وبين آراء د. له حسين ، وذلك بدلا من تضييع الوقت في الجدال النظري الذي من الواضح أن بعض الدارسين يارعون فيه إلى درجة مذهلة .

إن سماح كريم الصحفي بالأهرام يورد بعض ما قاله ابن سلام وكأنه وقع على كثر ثبير ، متصورا أن هذه النصوص المبصرة تخدم شبهته التي أخذها عن د. بدوي ، وهي أن طه حسين لم يقل شيئا أكثر مما قاله ابن سلام . وهذا ما أورده من أقوال ابن سلام : « وفي الشعر

(١٨) — طه حسين كما يعرفه كتاب عصره / ص ١٧٠ .
(م ٧ — معركة الشعر الجاهلي)

مبتوع مفتعل وموضوع كثير لا خير فيه . . . وقد تداوله قوم من كتّاب لم يأنفوا عن أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء « و « فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أبياتها ومآثرها استغل بعض العشائر شعراءهم وما ذهب من ذكر وقائعهم . وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بين له الوقائع والأشعار ، فقالوا على السنة شعرائهم . ثم كتبت الرواية بعد ، فزادوا في الأشعار التي قبلت . وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواية ولا ما وضع المولدون . وإنما غفل بينهم (كذا . وقد وجدت في ط ١٩٥٢ هكذا : « وإنما غفل ذلك بهم ») أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء ، أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الأشكال « و « أشعرهم (أي أشعر شعراء المدينة) حسان بن ثابت ، وهو كثير الشعر جيدة ، وقد حبل عليه ما لم يحبل على آخر » . ثم يعقب قائلا : « أليست هذه الأقوال لابن سلام تجعل طه حسين يتأثر به في نظريته للشعر الجاهلي ؟ » (١٩) والجواب : أن ابن سلام كان موجودا بين يدي طه حسين قبل سفره إلى فرنسا وبعد عودته منها سنين طويلا ، فلماذا لم يتأثر به إلا بعد ظهور مقالة مرجليوث ؟ بل لقد عرض الراحل هذه القضية عرضا معتدلا كما صورها القدماء مع الإحاطة بها تفصيلا ووضعها في إطارها العام ، وكان ذلك قبل ظهور بحث مرجليوث بأربعة عشر عاما ، فكيف لم تلفت انتباه طه حسين ، وظل غافلا عن هذه القضية إلى أن صدرت مقالة مرجليوث ، وعندئذ . . . وعندئذ فقط أصيب بالاهتمام المفاجيء بها ، بل عندئذ . . . وعندئذ فقط أصبح ما كتبه الراحل يستحق الثناء بعد أن كان صرح بأنه لا ينهيه . فهذه واحدة . أما الثانية ، فهل

(١٩) انظر مقالة سامح كريم في الصفحة الأدبية بأهرام الجمعة

يظن سابع كريم ود. عبد الرحمن بدوي أن مثل هذه الأقوال لابن سلام كانت غائبة عن كل من درسوا الشعر الجاهلي إلا طه حسين ، أو أنهم على الأقل لم ينهوها حق فهمها حتى جاء طه حسين وفهمها كما ينبغي ؟ انراهما يريان فيها غموضا عويضا لا يستطيع سوى طه حسين أن يتشع غمابه وسحبه ؟ إلا فليعلم أنه لا أحد يشاح في كلام ابن سلام وغيره من العلماء الفقات الاثبات في الشعر الجاهلي . وانما المشكلة في أن طه حسين ، بدلا من أن ينظر في أمر الشعر الجاهلي نظرة الفاحص المحص فينفي منه ما يستحق النفي ويقبل منه ما هو جدير بالاطمئنان والقبول ، شأن ابن سلام وغيره من علمائنا وتقادنا القدامى ، أثر أن يردد مقالة مرجليوت في الشك العنيف في الشعر الجاهلي ، وأن سمح باستثناء القليل استثناء غامضا ، على عكس المستشرق الانجيزي ، الذي النى الشعر الجاهلي جملة وأراح نفسه .

ان سابع كريم يخبرنا انه حين أورد ما أورد انما كان ذلك بناء على اختيار عشوائى . وغريب أمر ذلك الاختيار العشوائى الذى لا يأتى أبدا من أقوال ابن سلام بما يبين تبيينا ساطعا ان طه حسين قد خالف ابن سلام مخالفة شديدة وأثر عليه مرجليوت . لقد كان يمكننى أن أقول أن ما سأورده الآن لابن سلام انما هو نتيجة اختيار عشوائى ، بيد انى صريح أحب أن أسى الأشياء بسمياتها ، ولهذا أعلن بلاء نى انى قرأت مقدمة ابن سلام كلها فوجدت فيها الاى : « وقد اختلف العلماء في بعض الشعر كما اختلف في بعض الأشياء . أما ما اتفقوا عليه فليس لاحد أن يخرج منه » و « في الشعر المسحوع مفتعل موضوع لا خير فيه . . . وقد كان عند النعمان بن الحر منه ديوان فيه اشعار الفحول وما مدح هو واهل بيته به ، فصار

ذلك الى بنى مروان او صار منه « (٢١) » و « أول من تكلم بالعربية ولسان
أبيه اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما » . (٢٢) والآن نتساءل : أين
هذا مما ألح عليه طه حسين من الشك في الاغلبية الساحقة من الشعر
الجاهلي ؟ وأين هذا من نفى طه حسين أن يكون شيء من ذلك الشعر قد نال
مكتوباً ؟ (٢٣) وأين هذا من عد طه حسين هجرة سيدنا ابراهيم وسيدنا
اسماعيل عليهما السلام الى مكة وابوة هذا للعرب أسطورة من
الاساطير شاعت في العصر الجاهلي ثم جاء الاسلام فاستغلها لاسباب
سياسية ؟ وهل جعل ابن سلام المسلمين كلهم كذابين وضاعين كما جعلهم
طه حسين ؟ وهل شك ابن سلام في وجود امرئ القيس مثلاً ؟ وماذا نفعل
في قول ابن سلام انه ليس لأحد أن يخرج مما اتفق العلماء على صحته
من الشعر الجاهلي ؟ أهذا أيضاً مما اتفق فيه ابن سلام وطه حسين ، الذي
لم يعبا بمقاييس أولئك العلماء وتعالجهم ؟ ان الاجابة عن هذه الاسئلة تدل
على أن طه حسين قد تأثر بهرجليوث وردد كلامه ابن سلام . ثم
كيف نسي سامح كريم ومن أخذ عنهم أن مرجليوث نفسه قد قال من بحثه
وبحث طه حسين انها ميثانلان الى حد كبير ، مع أن بحثه يدور حول
رفض كل ما قاله القدماء من صحة الشعر الجاهلي ، ولم يقل أن فكرة
طه حسين تشبه فكرة ابن سلام ؟ استبان لنا إذن من المقابلة بين ابن سلام

(٢١) السابق / ص ٦ ، ٢٣ .

(٢٢) السابق / ص ٩ .

(٢٣) للحقيقة يبدو كلام ابن سلام هنا غير متنسق تماماً ، إذ ذكر
قبيل ذلك أن العرب لم يؤولوا من الشعر الجاهلي الى ديوان مكتوب ،
وان كان يمكن التوفيق بين هذا وذاك بالقول بأنه يقتصد علماء العرب
وروانهم لا ملوكهم .

وطه حسين ان ما قاله د. عبد الرحمن بدوي وردده وراءه سامح كريم غير صحيح . (٢٤) كذلك فان اقتضار هذا الأخير على ايراد قول د. شوقي ضيف ان حديث طه حسين عن اسباب نحل الشعر يعتمد اساسا على القدياء العرب ومنهم ابن سلام هو عمل أقل ما يوصف به انه سبق للتضليل . وحتى اثبت للقارئ صدق الحكم اسسوق اليه كلام الدكتور شوقي كله وينصه . قال بعد ان لخص الاسباب التي دفعت طه حسين الى الشك في الشعر الجاهلي ورد عليها وفندتها سيبا سيبا (٢٥) : « ويخرج طه حسين في مصنفه من هذا الكتاب الثنائي الى الكتاب الثالث ، فيتحدث عن اسباب نحل الشعر ويبسطها بسطا معتيدا على ملاحظات القدياء » (٢٦) « وبعد ان يورد د. شوقي ضيف هذه الاسباب ويعلق عليها بما ينتقض موقف طه حسين يقول : () ومعنى ذلك كله انه في هذا الكتاب انها يردد ما نحن عليه العلماء السابقون من قضايا ، يريد ان يتسع لنقض الشعر الجاهلي جميعه ، وهي انها تنقض جوانب منه ، وينبغي ان نقف عندها والا نذهب مذهب التعقيم » (٢٧) . ثم بعد ان ينقد موقف طه حسين من شعراء ربعة

(٢٤) علق د. محمد مصطفى في مقالته باهرام الجبعة ١٩٨٦/١/٣ على كلام د. عبد الرحمن بدوي هذا بقوله : « ولا أجد تجاوزا لكل الحقائق أشد وأخطر من هذه الأقوال . فما أبعاد كلام ابن سلام عن مرجليوث . وما اصدق قول الأستاذ محمود محمد شاكر : « أما ابن سلام صاحب كتاب « طبقات فحول الشعراء » فهو من قضية الشعر الجاهلي بمعزل . ابن سلام لا يشك في شعر هو أحد حفاظه وعلائه ، ثم يؤلف في هذا الشعر وشعرائه كتابا يرأسه هو كتاب « طبقات فحول الشعراء » فليأذا نزيف الحقائق ؟ » وهذا الكلام ، كما ترى ، هو الحق الذي لا مزية فيه .

(٢٥) انظر / ١٧٠ — ١٧٣ من / العصر الجاهلي .

(٢٦) ص ١٧٣ .

(٢٧) ص ١٧٤ .

وشعراء مضر وتصريحه بما معناه أنه كان يستطيع أن يحقق نتائج سلبية لو استقصى ما قاله القدياء في هذا الموضوع يقول : « والحق أن الشعر الجاهلي فيه موضوع كثير . غير أن ذلك لم يكن غائبا عن القدياء ، فقد عرضوه على نقد شديد تناولوا به رواته من جهة وصيفه والفاظه من جهة ثانية ، أو بعبارة أخرى عرضوه على نقد داخلي وخارجي دقيق . ومعنى ذلك أنهم أحاطوه بسياج محكم من التحري والتثبت ، فكان ينبغي ألا يبالغ المحدثون من أمثال مرجليوث وطه حسين (أرجو أن يقرأ صاحب كريم هذه العبارة الأخيرة جيدا ويتنبه لدلالة الربط بين مرجليوث وطه حسين في هذا السياق) في الشك فيه بمبالغة تنتهي إلى رفضه . إنما نشك حقا فيما شك فيه القدياء وترفضه . أما ما وثقوه ورواه أثباتهم من مثل أبي عمرو بن العلاء والمفضل الضبي والأصمعي وأبي زيد غري أن نقله ما داموا قد أجمعوا على صحته . ومع ذلك ينبغي أن نخضعه للاختصاص وأن نرفض بعض ما رووه على أسس علمية منهجية لا مجرد الظن (أرجو أيضا التنبيه لهذه العبارة ومفزاها) كان يروي لشاعر شعر لا يتصل بطروقه التاريخية ، أو تجرى فيه أسماء مواضع بعيدة عن موطن قبيلته ، أو يضاف إليه شعر إسلامي النزعة ، ونحو ذلك مما يجعلنا نلبس الوضع لمسا » (٢٨) .

على أنني رغم سطوع الحقيقة كالشمس في رائحة النهار ، أحب أن أعرف ماذا يقول د . طه حسين نفسه في هذه النقطة . يقول : « وأما أنصار الجديد فـ .. هم لا يطمئنون إلى ما قاله القدياء ، وإنما يلتقونه بالتحفظ والشك . ولعل أشد ما يملكهم الشك حين يجدون من القدياء ثقة وأطمئنانا . هم يريدون أن يدرسوا مسألة الشعر الجاهلي فيجاهلون

اجتماع العلماء على ما اجمعوا عليه ، ويتساءلون : اهنك شعر جاهلي...؟
والنتائج اللازمة لهذا المذهب الذي يذهب المجددون عظيمة جليلة الخطر :
منه الى الثورة الادبية اقرب منها الى كل شيء آخر . وحسبك انهم يشكون
فيما كان الناس يرونه يقينا ، وقد يجحدون ما اجمع الناس على انه
لا شك فيه (يبدو لي ان المقصود بذلك هو الشعر الجاهلي وشعرائه ،
ولكن تنبيه لما هو آت) وليس حظ هذا المذهب ينتهيا عند هذا الحد ، بل
هو يجاوزه الى حدود اخرى ابعد منه مدى واعظم اثرا ، فهم ينتهون
الى تغيير التاريخ او ما اتفق الناس على انه تاريخ (ارجو ان تنبيه اكثر) .
وهم قد ينتهون الى الشك في اشياء لم يكن يساح الشك فيها (لا اظن
المعنى خافيا على القاريء ، فليس الا القرآن الكريم . وليس هذا
تخمينا ، فقد انكر الدكتور ، كما وضحنا بالنصوص القطعية ، اشياء في
القرآن الكريم ، ونظر اليه بوصفه تاليفا بشريا . ولنتابع) . وهم بين
اثنين : اما ان يجحدوا انفسهم ويجحدوا العلم وحقوقه فيرجوا ويستريحوا ،
واما ان يعرفوا لانفسهم حقها ويؤدوا للعلم واجبه ، فيتعرضوا لما ينبغي ان
يتعرض له العلماء من الاذى « والاذى طبعيا لا ينال من يقتصر شكه على امرء
القيس وامثاله من شعراء الجاهلية وشعرهم ، وان لم يكن الاذى من رأينا :
ولكن هذا موضوع آخر) ، ويحتلوا ما ينبغي ان يحتله العلماء من
سخط الساخطين » (٢٩) .

فهذا ما يقوله طه حسين نفسه ، وهو يهدم دعاوى د . عبد الرحمن
بدوي وسامح كريم من ورائه . اذن فانهم الرافعي لطله حسين بانه اخذ
آراء المستشرقين هي تهمة قوية ، وكل الملابس والادلة تؤيدها وتؤكددها ،

(٢٩) في الشعر الجاهلي / ص ٥ - ٦ وتجده ايضا في ص ٦٤ -
٦٥ ص / في الادب الجاهلي .

ومع ذلك فإن الراعي ، رحمه الله ، في موضع آخر من كتابه « تحت راية القرآن » يتهم طه حسين بأنه بنى كتابه « في الشعر الجاهلي » على الباب المعنون بـ « الرواية والرواة » من كتابه هو « تاريخ آداب العرب » (٣٠) ، والواقع أن عرض الراعي لهذه المسألة في كتابه المذكور هو عرض شاذل ومبني ومنظم ، ولكن دعواه هذه غير مسلمة ، إلا إذا كان يقصد أن طه حسين قد أخذ كلامه (وهو بالمناسبة كلام القدماء ، مع الإحاطة والتفصيل والتنظيم كما قلنا) ، ومطه إلى نهايته وشك في الشعر الجاهلي كـ تقريباً بدلا من الاختصار على ما اقتصر عليه من سبقه من العلناء والفتاد العرب قديما وحديثا .

(٣٠) انظر تحت راية القرآن / ص ١٣٦ .

نقد الرافعي لمنهج طه حسين في دراسة الشعر الجاهلي وآرائه فيه

والآن حان الوقت لنحاول نقد الرافعي لمنهج طه حسين في دراسة الشعر الجاهلي وأفكاره في هذا الموضوع . وأول ما ينبغي أن نعرض له هنا هو ما قاله الرافعي من استخدام الدكتور طه لمنهج الشك عند ديكرت الفيلسوف الفرنسي الشهير (٣٠) .

لقد قدم الرافعي تلخيصاً لمذهب هذا الفيلسوف (٣٢) وهناك نص ما قاله عن هذا الفيلسوف : « فيلسوف فرنسي توفي سنة ١٦٥٠ م ، وله المذهب الفلسفي المنسوب اليه القائم على هذه الكلمة : « أنا أفكر فأنا أذن موجود » . وخلاصة مذهبه ألا تفر حقا لست على بينة أنه حق ، وألا تقطع بالرأي حتى تكون على يقين من أنك محصنه ولم يفتك نص ولا شيء مما تستعين به وأن تحريء كل مشكلة تبحثها إلى الأجزاء التي لا يكون الحل بدونها حلا ، وأن تجزئ التفكير على نظام تدريجي من المسائل إلى ما موقه » . ثم عقب عليه بقوله : « وقد ثبت أن طه لم يفهم هذا المذهب وأنتمشوه به على الملأ وأنه لا يعدل جهله فيما ينقل عن العربية إلا ما

- (٣١) انظر في الشعر الجاهلي . فصل / منهج البحث / ص ١١ -
١٤ حيث يعلن د. طه أنه سيستخدم في بحثه هذا منهج ديكرت في الشك .
(٣٢) في تحت راية القرآن / هاشم ص / ١٤٠ .
(٣٣) في الشعر الجاهلي / ص ١١ . وفي قواعد المنهج الديكرتي
انظر ديكرت / Discours de la Methode ص ٦٢ - ٦٤
(مع التعليقات التي كتبها شاربنتيه في الهامش) ، وكذلك ترجمة محمود محمد
الخفيري لهذا البحث / ص ٣١ - ٣٢ (مع التعليقات المفيدة التي اضافها
في الهامش) . كذلك برتراند رسل / حكمة الغرب / ص ٧٠ ، ود . توفيق
المطويل / أسس الفلسفة / ص ١٤٨ - ١٥٠ .

ينقله عن الفرنسية « . والواقع أن مقارنة سريعة بين تلخيص الراجعي لهذا المذهب وما قاله عنه طه حسين في كتابه « في الشعر الجاهلي » تبين لنا أوضح تبين أن الراجعي لم يترك شيئا من القواعد التي أرساها الفيلسوف الفرنسي من أجل التوصل إلى اليقين ، على حين لم يذكر طه حسين إلا شيئا واحدا مما تقتضيه قاعدة واحدة فقط من هذه القواعد ، وهي القاعدة الأولى التي تقضي بأن « يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل » . بل أنه ساق ذلك على نحو موجز ، وكان الأحرى به أن يفصل القول في هذه القاعدة تفصيلا لا يفادر جاثبا من جوانبها حتى يعطى قارئه فرصة كاملة لتحيص ما يقوله وتقدمه ، وترك الثلاث البسائية التي من المؤكد أنه لم يعرها أدنى التفات وهو يدرس الشعر الجاهلي . ليس ذلك فقط ، بل أن طه حسين قد عجز عن تطبيق هذه القاعدة ، إذا لم نقل أنه لم يفهم أبصارها ، أو على الأقل هذا ما يفهم من موقفه من الدين (كما عرضه في كتابه « في الشعر الجاهلي » ، وهو ما سنتناوله بعد قليل . ولذلك جاء بحثه خديجا غير ناضج مما أعطى الراجعي وكل من ردوا عليه أقوى سلاح في تنفيه منهجه وآرائه وهديما . أي أن حكم الراجعي على استخدام طه حسين لهذا المنهج هو حكم صحيح ، وأن جاءت عبارته شديدة « (٢٤) » .

(٢٤) انظر في الخلاف بين طه حسين وبعض من انتقدوا فهمه لديكارت مقالة عبد الرشيد الصايق محمود / إبعاد جديدة لمعارك طه حسين الفكرية . لماذا زعم طه حسين أن لديه مخطوطات لم تنشر لديكارت ؟ / الهلال / سبتمبر ١٩٨٤ / ص ٤٠ - ٤٩ . وانظر في معرفة طه حسين لديكارت وفلسفته مقالة كامل زهيرى / المنهج الفكرى عند طه حسين / وبالذات ص ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٨ - ١٤٩ من كتاب « طه حسين كما يعرفه علماء عصره » . وانظر كذلك ص ١٢٨ من نفس الكتاب حيث يرى محمود أمين العالم أن طه حسين « لم يكن في حاجة إلى هذا المنهج » .

وفي موضع آخر يكرر الراجعي الزبانية على طه حسين لعدم فهمه منهج ديكرت وعجزه عن الاستفادة به (٣٥) . ويمضي فيشير الى أن ديكرت كان « يخشى على التكوين الاجتماعي من الشك » ، لأن الشك لأحد له : إذ هو المجهول كله . فهو من أجل هذا يشترط ألا تنس أصول الدين ولا يجترأ على ما أنزله الناس في منزلتها من أصول العادات » (٣٦) . ثم يعقب قائلا : وكل ذلك على ما فيه من القيسود لا يتفق على أحسنه إلا أن كان عظه من الذكاء والنفاذ كأنه قيد للمعاني والخواطر ، فهو إطلاق لا يراد منه الإطلاق الأحق كما ظهر في كتاب استاذ الجامعة ، بل تقييد الحقيقة التي لا سبيل اليها إلا من البصيرة . وما البصيرة أن تعمى عن الحق بشيء من العاطفة أو العصبية ، ولا شيء من الجهل أو ضعف الذهن ، فإن هذين كهذين . ومذهب ديكرت كله تجده على أسماه وأبعده من الاعتراض وما يدخله من الشبهة في قوله تعالى : « هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة » (٣٧) .

الديكرتي ، جوهر حركته الفكرية هو التحديد العقلي ، وليس الشك الديكرتي إلا وجهها من أوجه هذا الجهد العقلي ولكنه ليس جوهره . والواقع أن في كلام العالم مبالغة شديدة تعتمد على الخطابية والتعميم ، فضلا عما فيه من تناقض أسوق للتدليل عليه قوله (ص / ١٢٩) : « أننا في بعض كتاباته الأخرى قد نلجح فيها جنوحا الى التشكك في تيمه العقل كأداة منفردة للمعرفة » . وهو تناقض لا يبيء بذنبه هو وحده بل طه حسين أيضا ، مما يدل على أن الراجعي لم يظلمه حين هاجم فهمه لفلسفة ديكرت وتطبيقه لمنهج كما رأينا .

(٣٥) تحت راية القرآن / ص ٢٢٢ .

(٣٦) المرجع السابق / ص ٢٢٢ .

(٣٧) السابق / ص ٢٢٢ .

والحقيقة أن كلام الرافعي عن استثناء ديكارت للدين وإصول العادات من الشك صحيح (يقصد ديكارت بالذين دينه هو ، وبما يسميه الرافعي « أصول العادات » ، عادات بلاده) ، بيد أن ديكارت إنما فعل ذلك بمنتهى مؤقتة حتى يصل إلى بر اليقين الذي سيفتيه حينئذ عن ذلك (٣٨) .

ويبدو أن عثمان نوية لم ينتبه إلى أن هذا القانون الذي استثنى به ديكارت دينه وعادات بلاده إنما هو قانون مؤقت ، ولذلك رأى أنه يتناقض مع قوله : « اننى أتبع أفكارى أينما قادتنى (٣٩) » . ومع ذلك فإن ديكارت ، فيما يفهم من كلام تيسير شيخ الأرض عن هذه المسألة ، لم يتوصل إلى وضع أسس هذه الأخلاق المطلقة وعاد فتيه هذه الأخلاق المؤقتة (٤٠) .

أذن فإن كلام الرافعي أن لم يصدق في هذه الجزئية على فكر ديكارت الفطري فإنه مع ذلك صحيح بالنسبة إلى ما استقر عليه الفيلسوف الفرنسى بعد ذلك . بيد أنه ينبغي أن نعرف أن ديكارت قد أثبت وجود الله بالتأمل والبرهان العقليين (٤٢) . ولكن إنسان وجود الله ، إنما هو بخلافه ، لا

(٣٨) انظر برتراند راسل / حكمة الغرب / ج ٢ / ص ٧٠ - ٧١ .

(٣٩) انظر عثمان نوية / اعلام الفكر الاوربي / ج ١ / ص ١١٣ .

(٤٠) انظر ترجمة تيسير شيخ الأرض لكتاب أندريه كريسون

« ديكارت » / ص ١٠١ - ١٠٢ (في الهامش) ، ود . عثمان أمين / ديكارت / ص ١٠٠ .

(٤١) الذى ظل كاثوليكيًا مخلصًا لا شيء الا لان الكاثوليكية هي مذهب

بلاده ومليكه . انظر برتراند راسل / The History of Western Philosophy

ص ٥٨١ ، وحكمة الغرب / ج ٢ / ص ٦٨ . وانظر د . عثمان أمين / ديكارت / ص ٤٦

(٤٢) انظر في ذلك ديكارت ، Discours de la Methode

يستغرق الدين كله . أيا ما يكن الأمر فإني لا أوافق الراغمي على خشيته على الدين من البحث والشك ، والمهم أن يكون شكاً إيجابياً غايته الوصول إلى بر اليقين وبرده . والاسلام هو الدين الوحيد الذي لا يخاف عليه من البحث والتحقيق . أنه دين العقل والمنطق ، والقرآن لا يطلب أدل من أحد أن يسلم بوجود الله أو بصدق محمد ﷺ أو بجبال تشريعاته وفائدتها للبشرية تسليماً أعمى ، فإن مثل هذا التسليم معيب في نظر القرآن عيباً شديداً ، بل تسليم العقل والاقتناع الحر (ولا خوف عليه مما حدث مثلاً للتصرائية وأسرارها الغامضة ، التي رفضها الفلاسفة الأوزبيون الذين تأثروا بمنهج ديكارت ، فليس في الاسلام غموض ولا أسرار ، وهو لا يطلب من أتباعه أن يؤمنوا بأشياء تخالف العقل) (٤٢) .

ومن هنا فإني لا أنهم موقف طه حسين المراوغ حين حاول أن يوهنا بأن الإنسان قد يشك بعقله في الوقت الذي يكون قلبه فيه مطمئناً ،

ص ٨٢ — ٩٠ ، وترجمة محمود محمد الخضيري لهذا الكتاب (باعتوان « مقالة من المذهب لأحكام قيادة العقل والبحث عن الحقيقة والعلوم ») ص ٥٨ — ٧٣ ، وكذلك ديكارت / التأملات في الفلسفة الأولى (ترجمة د. عثمان أمين) ص ١٥٢ — ١٦٥ . وانظر أيضاً برتراند رسل في كتابه The History of Western Philosophy ومادة Descartes في كل من Dictionnaire Générale de Biographie et d' Histoire... مؤلفيه Ch. De zobry & Th. Bachelet ج / ص / ٧٧٩ ، وكذلك A Dictionary of Philosophy Antony Flew ص ٨٤ — ٨٥ . وانظر بحصره كذلك د. مراد وهبة / قصة الفلسفة / ص ٦٨ — ٦٩ ، ود. توفيق الطويل / أسس الفلسفة / ص ١٥١ . (٤٣) انظر في تأثير منهج ديكارت على الفلاسفة الذين هاجموا التصرائية أو رفضوا تعاليمها المتصلة بما يسمى أسرار الكنيسة ، عثمان أمين / ديكارت / ص ٢٧٢ — ٢٧٥ .

وأنه هو ، برغم إنكاره بعض ما جاء في القرآن ووصفه له بأنه مجرد أساطير صنعت لأغراض سياسية ، مسلم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، بل قلت أنه كان ينبغي عليه أن يختار بين الدين والبحث العلمي ما دام يرى أنهما متعارضان ، على الأقل احتراماً للقانون الفطري الذي أشار إليه ديكارت (ليس يزعم أنه حسين أنه يجري على منهج هذا الفيلسوف) ، وهو قانون « عدم التناقض » . أن منهج الشك الديكارتي هو منهج شامِل ، بمعنى أن ديكارت قد طبقه على كل شيء ، وبدءه من البداية الأولى ، فشكل حتى في وجود نفسه ، أيا أنه حسين فإنه لم يشك إلا في « الشعر الجاهلي » . وقد أنكر كذلك المصدر الإلهي للقرآن ، وإن ادعى أنه لم يفعل . وهو ما جعلنا نقول أنه كان ينبغي عليه أولاً أن يبين لنا موقفه بوضوح منه ، بدلا من هذا الجمع بين المتناقضات (٤٤) .

وبالإضافة إلى ذلك فقد أخذ الراجع على أنه لا يطرد شكه في الروايات إلا حين لا يعجبه مضمونها على حين يسارع بتصديقتها إذا رأى أنها تخدم فكرته (٤٥) . والواقع أنه كان ينبغي على أنه حسين أن يجعل الروايات كلها أمام نظره سواء ، فيعاملها كلها على أنها مشكوك في صحتها حتى تثبت له صحتها بالمنهج الديكارتي الصارم الذي زعم أنه سيدرس الشعر الجاهلي على أساسه ، أو على الأقل كان عليه أن ينتظر إليها جميعا على أنها صحيحة إلى أن يجد فيها ما يجعله يرفضها . أما الوزن بميزانين فليس من المنهج العلمي في شيء . أن القاعدة الرابعة

(٤٤) صرح أنه حسين بعد ذلك ، كما رأينا فيما سبق ، بأن نظريته إلى الدين وضعية ، أي أنه صناعة بشرية ، تبع من الأرض ولم ينزل من السماء ، بمعنى أنه ليس وحيا إلهيا .

(٤٥) انظر راية القرآن / ص ١٧٥ .

من قواعد ديكرت الأربع التي سبقت الإشارة إليها تقتضي من الباحث أن يقوم في كل الحالات بإحصاءات كاملة ومراجعات شاملة تجعل الشخص على يقين من أنه لم يفعل شيئاً (٤٦) . وظه حسين للأسف لم يحترم هذه القاعدة ولم يفعل شيئاً مما تطالب الباحث أن يقوم به ، بل لعلمها لم تحظر له على بال أو على الأقل لم تكن واضحة في ذهنه .

وفي ضوء هذا ينبغي أن ننظر إلى ما أخذ عليه المرحوم الرافعي من أنه قد ينتقل في خلال أسطر معدودات من النقيض إلى النقيض ، كما هو الحال في حديثه عن أيام العرب وحروبهم ، إذ قال (٤٧) « فحرب البسوس وحرب داحس والفبراء وحرب الفجار وهذه الأيام الكثيرة التي وضعت فيها الكتب ونظم فيها الشعر ليست في حقيقة الأمر ، أن استقابت نظريتنا » إلا توسيعاً وتنبية لأساطير وذكريات كان العرب يتحدثون بها بعد الإسلام » فعلق الأستاذ الرافعي على ذلك بقوله (٤٨) : « وعلنا لم نر في كتب ظه كلمة تدل على العقل إلا قوله في هذه العبارة : « أن استقابت نظريتنا » وتعليقه الرأي على هذا الشرط . وهو شرط بليغ ، ثم هو بعيد عما يأخذ فيه الشيخ من معاسف الرأي ومعانيه . وهو كذلك من أدب العلم ، إذ لا حكم إلا بيقين ، فإن كان الشك ترك الحكم معلقاً . غير أن ظه لم يتجاوز هذا العقل بعشرة أسطر حتى هاج به داؤه واعتزته النبوة ، فإذا هو يقول : « وكل ما ترى من أيام العرب وحروبها وخصوماتها وما يتصل بذلك من الشعر خليق أن يكون موضوعاً ، والكثرة المطلقة منه موضوعة من غير

(٤٦) انظر د. توفيق الطويل / أسس الفلسفة / ص ١٥٠ ،

وبرتراند رسل / حكمة الغرب / ج ٢ / ص ٧٠ .

(٤٧) في الشعر الجاهلي / ص ١٠٣ .

(٤٨) تحت راية القرآن / ص ٣٧٤ .

شك « (٤٩) . أن من المؤكد أن أسئلة الراعي النسالية التي وجهها إلى طه حسين هي مما يقتضيه المنهج الديكارتي (ومنهج البحث العلمي) ، الذي يستلزم إلى الاختصاصات والمراجعيات الدقيقة كما سلف القول . وهذه الاسئلة هي : « كم يوما من أيام العرب تعرف أيها الشيخ ؟ وفي كم كتاب هي ؟ وكم ديوانا وضع فيها من الشعر ؟ وما هي ؟ وأين هي ؟ وما الذي وقفت عليه منها حتى تقطع على كل ذلك بأنه من عمل القصاص وأنه زيادة وتوسعه في الأساطير ؟ » (٥٠) وهي أسئلة ليس في كتاب طه حسين ولا اظن أنه كان عنده (وقتها على الأقل) اجابة عليها ، وهو ما يدل في الحقيقة على أن طمأننته بديكارته ومنهج ديكارت أنها هي طمأننة على غير اساس .

وهناك امثلة أخرى من هذا التناقض الذي يصوره الراعي بأسلوبه الساخر قائلا : « والمعجب أن الشيخ كثيرا ما يضع رأسه في موضع ثم لا تكون الا وشية فإذا رجلاه في موضع رأسه . » ومن ذلك ما أشار اليه الراعي رحمه الله مثل نفي الدكتور طه حسين أننا لا نعرف شيئا آخر عن امرئ القيس الا اسمه ، على حين أنه قال قبل ذلك أنه يقول « أن امرأ القيس هو اول من قيد الأوابد وشبه الخيل بالعصى والعقبان وما إلى ذلك » (٥١) . ويعقب

(٤٩) من المعروف عن طه حسين أنه يكثر في مقدماته من استعمال عبارات مثل « لعل » و « ربما » و « قد يكون » و « لا يبعد أن يكون » ... الخ ، ثم يقفز في النتائج التي يربطها على هذه المقدمات المبنوزة الى الجزم والقطع . وقد لاحظنا أنه متأثر في ذلك بطريقة بعض المشرقين . انظر كتابنا / المستشرقون والقرآن / ص ٩٣ . كما نبيه د . أحمد كمال زكي الى هذه السبة في أسلوب طه حسين . انظر ص ١٨٩ من « طه حسين كما يعرفه كتاب عصره » .

(٥٠) تحت راية القرآن / ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٥١) انظر « في الشعر الجاهلي » / ص ١٤٨ : ١٥٥ « وتحت راية القرآن » / ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

الراعي على هذا بقوله : « وهنا كما ترى خذاء الشيخ مكان رأسه ، والا فهل كان اسم امرئ القيس هو الذي قيد الأوابد واخترع كل تلك المعاني ؟ » (٥٢) .

وقد أشار الراعي الى تناقضات أخرى في أفكار الدكتور طه . وهذا التناقض الذي في كلامه عن طرفة بين العبد ، إذ يقول عن معلقته : « في هذا الشعر شخصية بارزة قوية لا يستطيع من يلحها أن يزعم أنها متكلفة متحطة او مستعمارة . وهذه الشخصية ظاهرة البداوة واضحة الاتحاد ، بيئة الحزن واليأس والميل الى الإباحة في قصد واعتدال . . . وليس يعينني أن يكون طرفة قائل هذا الشعر ، بل ليس يعينني أن أعرف اسم صاحب هذا الشعر ، وإنما الذي يعينني هو أن هذا الشعر صحيح لا تكلف فيه ولا انتحال » (٥٣) . وقد بين الراعي بفكره القاطب ما في هذا الكلام من تناقض يهتف بمركبة الكتاب الذي ورد فيه هذا . قال رحمه الله : « فأنظر كيف فهم هذا الخبط . وهل كل شعر يقوله شاعر الا هو صحيح لا تكلف فيه ولا انتحال ؟ بالاضافة الى قلته ، ثم هو بعد ذلك اذا نسب الى غير قائله كان موضوعا على هذا الذي نسب اليه ؟ واذا نحن ذهبنا هذا المذهب في كل ما يروى من الجاهلية فقلنا : لا يعيننا أن يكون قائل هذا الشعر فلانا أو غيره ولم ننظر الا الى الشعر في نفسه ، لماذا يبقى من كتاب طه جيسين ؟ وما عائدة بحثه في الشعر الجاهلي ، وإنما يقوم هذا البحث على اثبات الشعر لمن عزى اليهم أو نفيه عنهم بعد الادلال بالحجة على هذا أو على ذلك ؟ و « لا يعينني » تطلق البحث من هذين القيدتين معا (٥٤) . وفي موضع آخر

(٥٢) تحت راية القرآن / ص ٢٩٩ .

(٥٣) في الشعر الجاهلي / ص ١٧٧ .

(٥٤) تحت راية القرآن / ص ٣٣٩ . وانظر ص ٣٣٥ — ٣٣٦ حيث يشير الى تناقض طه حسين في كلامه عن الوحدة في القصيدة العربية . (م ٨ — معركة الشعر الجاهلي)

نجدده رحمه الله يذكر أنه قد نصح طه حسين بأن يراجع ما يملكه لينفى منه التمارض (٥٥) .

كذلك مما يأخذه الرافعي عليه مما يتعارض مع المنهج الديكارتي أنه « لا يبحث كما يدعى وكما هو الأصل في مذهب ديكارت ، وإنما يقرر تقريراً . وفلان بين بحث يراد منه ما ينتج من غير تعيين لنتيجة محتومة وبين تقرير النتيجة التي يسبق لها البحث وتجيب لها الأدلة . فإن الأول يصلح على التجرد من الأسباب التي تؤثر في الرأي كالعاطفة والعصبية وغيرها ، وأما الثاني فزعم التجرد فيه حماقة وسخرية ، لأن النتيجة المعينة لا تجانب إلا مقدماتها . وهذه الأسباب لا تقوم إلا بأحوال مقررة منها الرأي والعصبية والميل والهوى وتحوها » (٥٦) .

وبن هنا يتهمه بتحريف النصوص وقسرها على النطق بما ليس فيها (٥٧) . وقد أورد رحمه الله عدة أمثلة لذلك . ومنها أنه حين يقول ابن سلام عن وضع الشعر على الجاهليين : « ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الاشعار . وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضع المولدون ، وإنما فضل بهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الأشكال » (٥٨) نجد أن طه حسين ينسب إليه أنه يقول « أن أهل العلم قادرون على أن يميزوا الشعر الذي ينتحله الرواة (كذا ...)

(٥٥) تحت راية القرآن / ص ٢٣٥ .

(٥٦) المرجة السابق / ص ١٩٩ .

(٥٧) السابق / ١٩٩ .

(٥٨) تحت راية القرآن / ص ١٧٩ ، والنص في « طبقات نحول الشعراء » (بتحقيق محمود شاكر) / ص ٣٩ مع اختلاف في الصياغة جهد طفيف .

في سهولة ، ولكنهم يجدون مشقة وعسرا في تمييز الشعر الذي ينتحله العرب أنفسهم (٥٩) . ويعتقد الرافعي رحمه الله على ذلك بقوله : « ما نلوا في الفرق البعيد بين قول ابن سبلا : « الرجل من أهل بادية » وبين قول طه : « الذي ينتحله العرب أنفسهم » . وتأمل معنى « يشكل بعض الاشكال » ومعنى : « يجدون مشقة وعسرا » (٦٠) . وهذا مجرد مثال ، والا فهناك أمثلة أخرى يمكن للقارئ أن يرجع اليها في صفحات ١٧٧ - ١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٢١ - ٢٢٤ ، ٢٥٣ - ٢٥٥ ، ٢١١ - ٢١٤ من « تحت راية القرآن » . وقد تبيّن د . أحمد كمال زكي لهذا المييب ، اذ ذكر أن طه حسين قد « أورد اقوالا نسبها الى ابن سبلا وهي لا توجد في كتابه » (٦١) . كما أشار الى انه كان يتر من النص ما يعارض مع ما يريد ان يقوله (٦٢) .

هذا فيما يتعلق بمنهج الدكتور طه حسين وطريقته في تناول قضية النحل في الشعر الجاهلي ، ولكن ماذا عن ردود الرافعي على آراء الدكتور طه نفسها في هذه القضية ؟

اننا لن نستطيع ان نورد كل آراء الدكتور طه وردود المرحوم الرافعي عليها ، اذ علاوة على ان الرافعي رحمه الله لم يرد على كل ما قاله الدكتور طه (٦٣) فليس ههنا هنا هو استقصاء آراء الدكتور وردود

(٥٩) تحت راية القرآن / ص ١٧٩ ، والنص موجود في ص ٦٧ من كتاب الدكتور طه حسين .
(٦٠) تحت راية القرآن / ص ١٨٠ .
(٦١) طه حسين كما يعرفه كتاب عصره / ص ١٨٨ .
(٦٢) المرجع السابق / ص ١٨٩ .
(٦٣) انظر ما قاله في هذا الصدد / ص ٣٣٤ من / تحت راية القرآن .

الراعى عليها والا لكان معنى هذا اننا نعيد نشر كتابيها لا اننا نكتب
بحسبنا عن هذين الكتابين وما اثاراه من قضايا ، ولتنضجت كذلك دراسنا
هذه تضخبا لا نرضاه ، وانما حسبنا ان نشر الى بعض الامثلة . فيالنسبة لما
يسمى بدليل المحتسوى الدينى الذى يقوم فيها يقوم عليه على ان شعر اليهود
والتصارى ليس فيه ما يدل على ديانة قاتليه يتسائل الراعى قائلا : « وهل
شعر النصارى واليهود الا كشعر سائر العرب في الفخر والهجاء والوصف
والنسيب وغيرهما ؟ ام حسب الدكتور ان شعر النصارى يجب ان يكون في
مقائده وانجيله وشعر اليهود في توراته وتجارته ؟ ولعله لا يعلم ان اضعف ما
يكون الشعر في الصناعة اذا هو تناول هذه المصانئ واشباهها كما يقع
في شعر العلماء والمتصوفة حتى قالوا : ان شعر حسان بن ثابت نزل في
الاسلام الى دون ما كان عليه في الجاهلية » « ٦٤ » . والحق ان هذا ليس
برد ، اذ ليست المسألة هي البحث عن سبب ضعف الشعر الدينى ان صحت
دعوى الضعف واللين ، وانما هي البحث عن سبب اختلافه من اشعار
الجاهليين . ولنفترض اننا وافقناه على ان شعر حسان ضعف في الاسلام
فيبقى السؤال هو : ولماذا لم يصل اليها شعر الجاهليين في الدين على ضعفه
وليته كما وصل اليها شعر حسان ؟ وليس شرطنا ان يكون الرد هو ان
المسلمين قد محوا ذلك ، فانهم لم يحوا مجادلات الكفار واهل الكتاب
لرسولهم ولا آراءهم فيه عليه السلام وفي القرآن واتباعه بل وفي الله سبحانه
نفسه . بل ان القرآن ذاته قد سجل امكارهم وعقائدهم وسفاهاتهم . كذلك
فان هذا السؤال لا يسوغ ابدا اتهام الشعر الجاهلى بأنه ملقى ، فهذا
غير هذا . ان ضياع بعض الشعر الجاهلى شيء واتهام هذا الشعر جميعه
بالبزيف شيء آخر .

ومع ذلك فان الراعى يغفل ضياع هذا اللون من الشعر في سقوط الرواية

وعتياح الكتب لا بضياح الشعر في نفسه بأهمال المسلمين » ، ثم يذكر
إشارات بعض المؤلفين القدامى إلى ما كان موجودا من هذا الشعر على
السنة الرواة وفي بطون الكتب قيل إن يضيح ، ومن ذلك إشارة الجاحظ إلى
أشعار اليهود ، التي كانت نوعا متيزا من طرائف الشعر ، وكتاب المزياني
الذي كان في أكثر من خمسة آلاف ورقة وكان أحد أبوابه خاصة بديانات
الشعراء في أشعارهم ومنهم اليهود والنصارى (٦٥) . وهو تحليل وجيه
ولكنه غير كاف ، إذ السؤال هو : لماذا ضاع الشعر الديني بالذات من شعر
الجاهلية ؟ هل يمكن القول إن الدين كان قد ضعف في نفوس الجاهليين
وإن الشعر الديني في قصائد الفحول والمشاهير منهم قليل ، بخلاف المسلمين
أول أمرهم مع الإسلام ، إذ كان يخالف منهم العظام ، ولذلك أثر عن محولهم
ومشاهيرهم شعر ديني ؟ على كل حال نرى كتاب « الأصنام » لابن الكلبي
أشعار كثيرة تصور الحياة الوثنية عند العرب . وكذلك للأب لويس
شيخو كتاب « شعراء النصرانية » ، وفيه أشعار كثيرة تدل على نصرانية
قائلها ، وأن غالي المؤلف كثيرا فتنسب كل من هب ودب إلى ديانتهم
تعميها . ثم أنه لا تزال هناك كتب لا يحصيها العدد لا تزال مخطوطة ،
وكثير جدا منها مبهر وبعيد عن أيدي العلما والمحققين ، فربما كان
كتاب المزياني المشار إليه وكتب أخرى مشابهة له بين هذه المخطوطات .

ويتصل بهذه المسألة رد الرافعي على زعم الدكتور طه أن القرآن
يدل على أنه كان للعرب حياة عقلية قوية وقسرة على الجدال الديني
والفلسفي أتفق القرآن في جهادها حظا عظيما (٥٦) . إذ يرى الرافعي أن
« معنى الخصام واللدن أنهم يسفها أهل تكذيب ومناد ومكابرة ... لا يمكن
صرفهم عن رأي يكون فيه الهوى ، كما لا يمكن مثل ذلك في الجاهل الأحمق »

(٦٥) المرجع السابق / ص ١٣٥ .

(٦٦) انظر في الشعر الجاهلي / ص ٢٠ .

المصر المبني بالاستهتار والشك « (٥٧) ، وهذا في الواقع هو الفهم الصحيح لما ورد في القرآن من هذا الموضوع . وكعادة الرافعي في كثير من زخوده « على الدكتور طه نراه هنا يتهكم به فيقول : « يا فضيحة الجامعة المصرية في جامعات الأمم ! ألا يتفضل استاذها على الألب والتاريخ فيذكر لنا مجلسا واحدا من هذه المجالس العربية الفلسفية التي ينفقون فيها حياتهم ؟ ... » من حججه « أي المرب » الفلسفية كانت تلك الحجارة التي نص التاريخ على أنهم كانوا ينفقون بها النبي ﷺ حتى يلجئوه إلى الحائط وذلك التراب الذي كانوا يثرونه على رأسه أم قولهم : شاعر وساحر وكذاب ومجنون ... ؟ وبقي كانت هذه من صفات الفلاسفة يا شيخ الجامعة ؟ ... » . وهذا كما ترى تهكم مصمم بقويه أنه قائم على أساس صلب من المنطق والفهم الصحيح لنصوص القرآن والمعرفة السليمة بتاريخ العرب في الجاهلية وأحوالهم العقلية والروحية .

وبالنسبة للدليل اللغوي الذي يستند إلى أن الشعر الجاهلي لا يعكس اختلاف اللهجات بين القبائل والذي على أساسه يشأ الدكتور طه قائلا : « إذا لم يكن نظم القرآن وهو ليس شعرا ولا مقيدا بما يقتدي به الشعر قد استطاع أن يستقيم في الأداء لهذه القبائل (يريد اختلاف القراءات) فكيف استطاع الشعر ؟ وكيف لم تحدث هذه اللهجات المتباينة آثارها في وزن الشعر وتقطيعه الموسيقي ؟ » يرد الأستاذ الرافعي بأنه كان على الدكتور طه أن يستعري اللهجات قبل أن يعترض بها ، وأنه لو كان يعمل لأمرها في الجيلة لا تغير شيئا من أوزان الشعر ، إذ هي في معظمها أبدال حرف بحرف أو حركة بحركة أو مد بمد . ثم إن العلماء قد نصوا على أن العربي الفصحى غير مقيد بلهجة قبيلته إذا عارضت طبع الفصحى

(٦٧) تحت رؤية القرآن / ص ١٥٤ .

(٦٨) المرجع السابق / ص ١٥٢ - ١٥٤ .

فيه . كذلك فإن أقدم ما وصل اليه من الشعر الجاهلي يرجع تاريخه إلى مائة عام قبل الإسلام ، أي في الزمن الذي نهضت فيه اللغة و أخذ العرب بعضهم من بعض . ومع ذلك كله فقد تظهر في الشعر لهجة القبيلة التي ينتمي إليها الشاعر . ثم يورد الراعي شاهداً على ذلك من الشعر ومن حديث رسول الله ﷺ (٦٩) . وهو رد منطلق سليم ، وبخاصة بأنه من إشارة إلى أن العرب في القرن السابق على الإسلام قد عرفوا لغة موحدة ، وإن كنت لا أستبعد أن يكون تاريخ ذلك أقدم كثيراً جداً من مجرى قرن . والمعجب أن يستند الدكتور طه إلى اختلاف اللهجات بين القبائل غفلاً عن أن لهجة كل إقليم من الأقاليم العربية منذ الإسلام حتى الآن تختلف عن لهجات الأقاليم العربية الأخرى بل أن ذلك يصدق تماماً على لهجات النواحي المختلفة داخل الإقليم الواحد ، ومع ذلك فإن الكتاب والادباء والشعراء إذا أبدعوا فإنما يبدعون باللغة الفصحى . كذلك غفل الأستاذ الدكتور عن أن رسول الله ﷺ هو وأصحابه لم يجدوا أدنى صعوبة في التفاهم مع أهل أي صقع من أصقاع الجزيرة العربية ولا وجد هؤلاء من ناحيتهم أية صعوبة في التفاهم مع النبي والمهاجرين والأنصار ، ولا حتى أهل اليمن أو أهل البحرين ، وهما أبعد منطقتين في الجزيرة العربية عن مكة ويشرب موطن الرسول وصحابته الأوائل . ولا يصح أن يقال إن القرآن والإسلام قد وحد لغة العرب جميعاً ، فإن هذا التفاهم كان قائماً منذ اللحظة الأولى التي اتصل فيها العرب من القبائل المختلفة بالرسول عليه الصلاة والسلام ، أي قبل أن يفعل القرآن نعله المشر إلى

(٦٩) انظر في هذه المسألة « في الشعر الجاهلي » / فصل في الشعر الجاهلي واللهجات / ص ٣١ وما بعدها ، « تحت راية القرآن » ص ١٤٢ - ١٤٣ .

أن الفكتوري طه «والرائع» التي عدنا (٧٠) ينسى أن هذه اللهجات قد
تفرقت من أصل واحد لا كما يريدنا أن نعتقد من أنها قد توحدت في
لهجة واحدة من لهجة تريفس « وأذن عالمها مبها اختلفت فهو كاختلاف
لهجاتنا الحالية » الذي لا يفتح المتكلمين على الأمل من التناغم باللهجة
الفصحى « أو باللهجة العربية » « لو من الكفاية » عند ما يكتبون « بهذه
اللهجة الفصحى » ومن المتكلمون في العصر الجاهلي « أن لم يكونوا
هم الشعراء والخطباء « ثم أن العرب « وان انقسموا قبائل « كانوا متصلين
ببعضهم البعض عن طريق الاتصاف والمضاهرة والحروب والمخالفات
والتجارة والحج الى البيت الحرام والقوافل الأدبية وغير ذلك . ومن
شان هذا الاتصال « لا أقول : أن يقيم « بل يحافظ على هذه القرابة
اللغوية بين اللهجات المختلفة .

وبدخل في الدليل اللغوي مقالته الفكتور طه حسين (٧١) من أنه
« قد يكون لنا أن نلاحظ ... ملاحظة لا أدري كيف يخلص منها أنصار
القديم ، وهم أن أمرا القيس ، أن صحت أحاديث الرواة (يقصد : أن صح
أنه كان له وجود حقيقي) « ينسى وشعره قرشي اللغة . ولغة اليمن مخالفة
كل المخالفة للغة الحجاز ، فكيف نظم الشاعر اليمني شعره في لغة أهل
الحجاز ؟ ... وأعجب من هذا أنك لا تجد مطلقا في شعر أمراء القيس لفظا
أو أسلوبا أو نحو من أنشاء القول يدل على أنه يمني « فمهما يكن أمر
القيس قد تأثر بلغة مدنان فكيف نستطيع أن نتصور أن لغته محيت من
نفسه محموا تابا ولم يظهر لها أثر في شعره ؟ نظن أن أنصار القديم
سيجدون كثيرا من المشقة والعناء ليحلوا هذه المشكلة » . وقد رد

(٧٠) انظر تفصيل رأيه في ذلك في / ص ٢٧٠ — ٢٧٤ من كتابه
الذي نحن بمسده .
(٧١) في الشعر الجاهلي / ص ١٤١ .

الاستاذ الزاعمى بان على انه حسين اما ان ينكر وجود امرىء القيس انكارا صريحا ، ومعتقد مسؤوف تكون حججه عليه هي فكر هذا الشاعر في الاحاديث المروية عن النبي عليه الصلاة والسلام وكلام غير وعلى وشعر الفرزدق وجريز وغيرهم ، واما ان يقر بوجوده اقاربا حريفا ، وعند ذلك تبقى مشكلة اللغة التي كان ان امتسار القديم سيجدون في حلها كثيرا من المشقة والغناء ، والتي لا صعوبة ايا كانت ، مع ذلك ، في حلها ، اذ ذكر ابن رشيق ، على سبيل المثال ، ان امرأ القيس ، وان كان يمتن النسب ، هو نزارى المولد والمتشا ، أى انه لم يولد باليمن ثم تنقل بعد ذلك في قبائل العرب حتى يقال : كيف نسق لفته ؟ ولفته اذن هي لغة عرب الشمال الذين ولد فيهم ونشأ في ديارهم لا الجنوب (٧٢) . وهو رد بفهم يسد الطريق على الدكتور طه سدا لو انه يحتكم في آرائه في كتابه الذي نحن بسنده الى المنطق ، لكنه للأسف يستسهل ان يرمى العرب والمسلمين جميعا ، من علماء وساسة وقصاصين وشعراء ومفكرين ، بالكذب . حتى القرآن نفسه اتهمه بأنه قد وضع يده على اسطورة القرابة النسبية بين العرب واليهود التي شاعت في العصر الجاهلي واستغلها لاسباب سياسية . وما هنا بصدد الحديث عن امرىء القيس فلنذكر رد الراجعي رحمه الله على الدكتور طه ، الذي ينكر وجود امرىء القيس ، معتادا الى جانب الدلائل اللغوى ، الذي عرفنا منه آنفا ، على ان بعض وثائق حياته مشابهة في خطوطها العامة جدا لبعض الوقائع في حياة عبد الرحمن بن الأشعث ، وأنه ربما اراد قوم ان يؤرخوا له من غير ان يلفتوا نظرا الأمويين ، الذين ثار عليهم ابن الأشعث وخلع طاعتهم . ويتلخص رد الراجعي على هذا

(٧٢) انظر تحت راية القرآن / ص ٢٦٥ - ٢٦٦ وانظر كذلك د. شوقي شيف / العصر الجاهلي / ص ٢٤٨ ، حيث يسوق هذا الرد في تنفيذ شبهة د. طه حسين .

المتعلق الغريب في أنه وضع أحداث حياة امرئ القيس وابن الأشعث وجها لوجه ، وبين أن التشابهات بينهما ليست بالأهمية التي يدعيها طه حسين ، ولا تدل من شيء على شيء مما ذهب إليه ، وكذلك أن الناس متشابهون بوجه عام ، ولذلك فقد تشابه بعض الأحداث الكبرى في حياتهم . كذلك أن المؤرخين وأصحاب الأخبار قد دونوا أخبار ابن الأشعث وحروبهم باستيادها ، فكيف يلجأ إله إلى هذا اللب والدوران على حين يذكر المؤرخون أخباره بصراحة لا مواربة فيها ؟ ثم يفترض الراجح أن مزعم الدكتور طه حسين صحيح ، ثم يعقب بأنه ليس من الضروري أن تصان ابن الأشعث قد جعلوه شاعرا طرده أبوه ، ووصفوه بالتصمك والمهر والفتش ، وجعلوه عاجزا ضائعا في القبائل لا يأخذ بثأر أبيه . الخ . وذلك غير عدد من الأخطاء التاريخية الفاحشة المتصلة بهذا الموضوع والتي تورط فيها الدكتور طه ورده الراجح فيها إلى الصواب مما يمكن القارئ الرجوع إلى كتاب الرعي للاطلاع على تفصيلها (٧٣) .

ويضيف الدكتور طه دليلا غنيا على أن الشعر الذي قاله امرئ القيس في رحلته إلى قيس هو شعر موضوع ، وهو أن هذا الشعر يخلو تمايا من الإشارة إلى مظاهر الحضارة في قسطنطينية من كنائس أو قصور أو نساء روميات (٧٤) . ولكن الراجح يلفت نظره إلى أن المتنبي مثلا قد جاء إلى مصر وعاش فيها وخلط أهلها ، ومع ذلك فليس في شعره وصف للهرم مثلا ، وكل ما كان أنه ذكر كلمة « الهرمين » في شعره ، كما ذكر امرئ القيس لفظه « قيسر » في شعره . ويسأل الراجح سائلا : « أم تحسب أن الهرم كان يومئذ صغيرا ثم كبر ؟ » (٧٥) . هذا ، ولعل :

(٧٣) انظر « في الشعر الجاهلي » / ص ١٣٤ وما بعدها ، وتحت رواية القرآن / ص ٢٧٨ — ٢٨٤ .

(٧٤) انظر « في الشعر الجاهلي » / ص ١٤٠ .

(٧٥) انظر « تحت رواية القرآن » / ص ٢٩٧ — ٢٩٨ .

القارىء يذكر ما قلناه في أوائل هذا البحث من أن كاتب مادة « أمرو القيس » في دائرة المعارف الإسلامية يصدق بحقيقة امرئ القيس بل وبرحلته إلى القسطنطينية ، وأن رفض قصة الحب بين الشاعر العربي وابنة القيصر . ومع ذلك فماتنا لا نستطيع ، في حدود ما نعرفه حالياً عن امرئ القيس ، أن نأخذ جانب الرافعى أو طه حسين في مسألة زيارته للقسطنطينية ، ولكن أحيل القارىء إلى ما كتبه الدكتور شوقي ضيف في تحقيقه لهذا الأبر الذي انتهى فيه إلى الظن بأن « امرأ القيس الشاعر الكندي لم يزر قيصر بيزنطة » بل الذى زاره هو امرؤ القيس اللخمي ، الذي اختلطت أخباره في ذاكرة العرب ، كما يقول ، بأخبار الشاعر (٧٦) . بيد أن موقف الدكتور شوقي ضيف من هذه الرحلة شيء وموقفه من امرئ القيس كشخص حقيقي شيء آخر ، فانه لا يشك في هذا أبداً ، بل أنه يحاول حتى تحديد بعض التواريخ الهامة في حياته ، كتاريخ ثورة القبائل على أبيه وأمهاته وتاريخ وفاته (٧٧) .

هذه بعض آراء د. طه حسين وردود المرحوم الرافعى عليها . وليس معنى هذا أن الأستاذ الرافعى ينكر أن في الشعر الجاهلى منحولاً ، بناءً أنه على العكس يرى أن كثيراً من الشعر الجاهلى قد ضاع وأن بعضه منحول (٧٨) . كذلك فانه قد التفت إلى اختلاف الروايات أحيانا للبيت الواحد والقصيدة الواحدة ، ومثله باعتقاد الرواة على الذاكرة التي رغم

(٧٦) انظر « العصر الجاهلى » / ص ٢٤١ - ٢٤٣ .

٧٧ المرجع السابق / ص ٢٤٣ . وحينما لو رجع القارىء إلى الفصلين اللذين كتبهما الأستاذ الدكتور من الشاعر وقبيلته وحياته بأكملها / ص

٢٣٢ - ٢٤٣ .

(٧٨) انظر « تحت راية القرآن » / ص ١٣٥ - ١٣٦ .

قوتها في تلك الأزمان كانت كأي شيء بشري عرضة للهو والنسيان (٧٩) .
وقد سبق أن أشرنا إلى أنه عقد للرواية والرواة وقضية الوضع في الشعر
الجاهلي بابا كليلًا في الجزء الأول من كتابه « تاريخ آداب العرب » فصل
فيه القول في هذه القضية وذكر الأسباب المختلفة التي دعت إلى وضع
الشعر وحمله على شعراء الجاهلية . إلا أن قوله أن الدكتور طه قد بنى
كتابته « في الشعر الجاهلي » على هذا الباب (٨٠) غير مسلم ، لأنه
رحمه الله لم يأت في هذا الباب بشيء مهم يتفرد به عما قاله القدماء (٨١) ؛
علاوة على أن دعواه هذه تتعارض مع اتهامه له بالنقل من حوار ومرجليوث
وغيرهما من المستشرقين .

وبما لا أتفق معه فيه تمامًا قوله أن « بيننا وبين الجاهلية ثم من
نقلوا عنها إزمانًا متناسخة كانت توفى خمسة عشر قرنًا ، وقد باد أكثر
الكتب وزهيت فيها أقوال الرواة وعلم العلماء مما حققوه ونصوا عليه
وما شابهوا فيه وتوسعوا به ، فلا يجوز لكائن من كان بين قطبي الأرض
أن يثبت أو ينكر أو يزيد أو ينقص إلا بنص عن المتقدمين ، لأن هذا العلم لا
يمكن أن يستقيم على اتساع الظن ولا أن يصح على الشك . فإن بحث
الفرض والتخمين والحديث والاستنتاج إنما يجيء بعد أن تجتمع المادة
من أطرافها بحيث لا يشذ فيها إلا القليل الذي يفرض فيه لظنه أنه
لا ينقض حكمًا ولا يبطل رأيًا ، للاستغناء بالنصوص الأخرى المتواترة

(٧٩) المرجع السابق / ص ٣٣٦ .

(٨٠) المرجع السابق / ص ١٣٦ .

(٨١) يمكن التحقق من ذلك بالرجوع إلى هذا الباب من الكتاب
المذكور . وانظر أيضًا د. ناصر الدين الأسد / مصادر الشعر الجاهلي /
ص ٣٧٧ . ود. شوقي ضيف / العصر الجاهلي / ص ١٧٠ ، اللذين يريان
نفس الرأي .

التي تتحقق بها غلبة الظن أن لم يأت منها اليقين » (٨٢) . أن الراعى رحمه الله هنا يحجر واسما ويصدر حكما ليس من حقه أن يصدره ، إذ من قال إن ما لا يدرك كله يترك كله ؟ اننا لو أخذنا بهذا الرأي فسوف يترتب عليه اننا لن نتجسس أية مسألة مما يتصل بالقدماء بل ولا بالمحدثين ، إذ متى توفر لى انسان كل ما يحتاج اليه للقطع برأى يقضى جازم ؟ ان هذا لا يملكه الا واحد فقط هو رب العالمين سبحانه ، الذى احاط بكل شيء علما . ثم ان المرخوم الراعى يجوز ، كما رأينا ، اصدار الراى اذا شذ من المادة المطلوبة « التليل » الذى يفرض فيه لظنه انه لا يتقش حكما ولا يملك رأيا » . وسؤالنا هو : كيف نعرف أن ما غاب عنا قليل ؟ وبفرض اننا عرفنا ذلك فمن الكليل لنا بأن هذا التليل لو ظهر لنا فمن يقلب نفاقنا راسا على عقب ؟ كل ذلك واضح معروف ، فما الذى دفع الأستاذ الراعى الى تجاهله والدخول من ثمة فيما دخل فيه من مضايق ؟ ان كل ما يطالب به الانسان ، اى انسان ، هو أن يستقرغ كل وسعه فى البحث والتفكير والتقصي وتقليب الأمر على وجوهه المختلفة ، فاذا تمسك ذلك مخلصا مبرئيا وراجع نفسه لظنه أن يكون قد نسي شيئا أو سها عن شيء فباستناعته أن يفتى على بركة الله ويصدر ما ارتأه من حكم ، على أن يتجنب الشبهات ويجعل حكمه على قدر علمه ويصوغه صياغة دقيقة واضحة . وليس معنى هذا انه بعد أن يقوم بذلك كله ان يخطئ ، فالخطأ وازد فى كل الاحوال ، وكل المطلوب هو كما قلت الاجتهاد والاخلاص واستقراغ الوسع . والرسول الاكرم عليه صلوات الله وسلامه قد عرفنا ان المسلم اذا اجتهد فاصاب فله اجران ، واذا اجتهد فاعطى فله اجر . ومع ذلك فاني لا ارى للدكتور طه غفرا ، إذ انه لم يستقرغ جهده فى تقصى موضوع بحثه بل انشاق مع شكوك اصططعها اصططاعا سار

بها وراء مرجليوث وغيره من المستشرقين . ومن هنا كانت نتائجه بمثابة
أشد التهافت .

ويبدو ، والله أعلم ، أن هذا التضييق على الباحثين من جانب المرحوم
الراعي راجع إلى أنه يرى الأثرة بنص القرآن « أن لم يكن عليه دليل من
شعرهم (أي عرب الجاهلية) إذ هو وحده المحفوظ عنهم ، وهو كان من
اللغة والخير والأثر . وهو يؤكد أنه لولا صنيع العلياء في جمع هذه
الشواهد لقام ألف زيدق يضيفون إلى مطاعنهم في القرآن أن فيه خطأ
في اللغة » (٨٣) . فإن صح مهمنا هنا فأننا لا نوافقه رحمه الله على رأيه ،
إذ إن مثل هذه الشواهد ، مهما كثرت وثبتت صحتها ، لن تمنع من في
قلبه مرض من اتهام القرآن بما يريد . كذلك فانه يكفى في نظرنا أن يقول
علياء اللغة المسلمون أن هذه اللفظة من القرآن أو تلك تعنى كذا . فهم
كانوا يعرفون العربية كما كان الجاهلي يعرفها . ويمكنهم الاستشهاد
بالشعر الإسلامي والأموي على ذلك ، فإن هذا الشعر مكتوب بالعربية
مطابقاً أن الشعر الجاهلي مكتوب بها . ويكفى في الرد على أي زيدق يخشى
الراعي أن يظن في القرآن بأن فيه خطأ في اللغة أن نقول إن أحداً من
معاصري الرسول من العرب ، بما فيهم الكفار أنفسهم وكذلك اليهود
والنصارى ، لم يعترض على القرآن بأي شيء من هذه الناحية . إن
أنه لا خوف على القرآن أبداً ، في نظرنا ، حتى لو افترضنا المستحيل
وقلنا أن الشعر الجاهلي كله مزيف منحول . ومن هنا فإن ألف كتاب
ككتاب الدكتور طه حسين لن يستطيع أن ينال من القرآن أدنى منال .
ومن هنا أيضاً فأننا نوافق الدكتور طه على أنه لا خوف على القرآن من
الشك في الشعر الجاهلي ، وإن كنا نخالفه في تعليقه الذي يميز فيه مصفوف
القرآن والذي يفهم منه أن الرسول ﷺ هو مؤلفه (٨٤) . كما نخالفه أيضاً

(٨٣) تحت راية القرآن / ص ٧٠٦ - ٢٠٧ .

(٨٤) انظر « في الشعر الجاهلي » / ص ١٨٢ - ١٨٣ .

في نتائجه التي ظن أن شكوكه المستطعة القائمة على غير أساس تؤدي إليها . وأخيرا فإنا لا نوافق المرحوم الراجعي في أن استغناء الآداب يجب أن يكون من المبدعين في الشعر والنثر لأن الذوق الفني المصقول الذي يحتاجه دراسة الآداب لا يمكن في رأيه ، أن يتأتى له إلا بهذا الإبداع (٨٥) . كما لا نوافقه في إنكاره على طه حسين أن يتكلم في الشعر لأن شعره ، أيام أن كان ينظم الشعر ، ركك في نظره (٨٦) ، فإن الموهبة والقدرات التي تلزم مؤرخ الآداب وتناقد تخطف عن موهبة الشاعر وقدراته . وقد يكون الإنسان شاعرا عبقريا ولكنه ليس بشيء في تاريخ الآداب وتقدمها ، كما أن الإنسان قد يكون مؤرخا أو ناقدا أدبيا مبرزاً في الوقت الذي لا يتمتع فيه بموهبة الشعر أو النثر الفني . وهذا من الأمور المتعارفة المعروف منها ، ولا أدري كيف غاب عن المرحوم الراجعي . ولعله كان يلجأ بذلك إلى أنه ، وهو الشاعر الحق (في رأي نفسه) ، أحق من طه حسين بتدريس الأدب العربي في الجامعة . إنني لا أشاح في مقدرة الراجعي في التقييم بهذه المهمة لو كانت أسندت إليه ، فقد كان له من علمه بالتاريخ والأدب العربي وكتب النقد والتسرات ومن رجاحة عقله وثقوب نظره كما رأينا في خلال دراستنا هذه ، وكذلك من ذوقه الأدبي المرفه ، ما كان خليقا أن يساعده خير مساعدة في هذا السبيل . ومن المؤكد أنه كان سيكون أفضل من أي مستشرق ، بل وأفضل من طه حسين نفسه (في ذلك الوقت) على الأقل حين كانت معرفة الدكتور طه بالنثرات الأدبية العربية محدودة كما رأينا ، مما أوقعه في كثير من الاستنتاجات الشاذة المتهاففة (٨٧) . مرة أخرى أنا لا أشاح في مقدرة الراجعي عليه رحمة الله ، غير أنني لا أوافقه على شرطه هذا المتمنت الذي لو كان يؤمن به حقيقة لوجب عليه أن يرفض

(٨٦) المرجع السابق / ص ٢٥١ .

(٨٥) تحت راية القرآن / ص ١٣٠ .

ما كتبه معظم علماء الأديب الصرب القديس الذين لم يكونوا شعراء أصلاً ، بل شعراء ذوي شعر ركيك ، وهو مالا يمكن أن يقول به ، إذ هو يوليههم ثقته وينقل عنهم ويمتد عليهم .

وبهذا تصل إلى ختام بحثنا ، الذي نرجو أن يكون قد جاء موضوعاً محايداً كما انتوينسا حين بدائنا . والله يتقبل أعمالنا ويوفقنا دائماً إلى نور الحق .

المصادر والمراجع

- د. إبراهيم عبد الرحمن محمد / بين القديم والجديد / دراساته في
الأنثروبولوجيا / مكتبة الشهاب / ١٩٨٢ .
- د. إبراهيم عوض / تفسير سورة التوبة / ١٩٨٧ .
- د. إبراهيم عوض / تفسير سورة المسعدة / ١٩٨٦ .
- د. إبراهيم عوض / المستشرقون والقرآن / دار الحقوق / ١٩٨٤ .
- د. إبراهيم عوض / مصدر القرآن - دراسة في الإعجاز النفسي /
١٩٨٤ .
- د. أحمد كمال زكي وآخرون / طه حسين كما يعرفه كتاب عصره / دار
النهضة / ١٩٨٢ .
- أحمد لطفى السيد / قصة حياتي / كتاب الهلال / عدد ٢٧٧ / مايو
١٩٨٢ .
- استاميل ادم / طه حسين - دراسة وتحليل / ط . مجلة الحديث /
حلب / ١٩٢٨ .
- أندريه كريسون / ديكرات (ترجمة تيسير شيخ الأرض) دار بيروت /
١٩٥٣ .
- أنور الجندي / طه حسين - حياته وفكره في ضوء الإسلام / دار
الاعتصام / ط ١ / ١٩٧٦ .
- برتراند رسل / حكمة الغرب (ترجمة د. فؤاد زكريا) هـ ٢ / عالم
المعرفة / عدد ٧٢ / ديسمبر ١٩٨٢ .
- د. توماس الطويل / أسس الفلسفة / دار النهضة العربية / ط
١٩٧٦/٦ .
- د. حسين فوزي النجار / أحمد لطفى السيد - أستاذ الجيل /
أعلام العرب / عدد ٣٩ / مكتبة مصر .
- دائرة المعارف الإسلامية / دار الشعب .
- ديكرات / تأملات في الفلسفة الأولى (ترجمة وتقديم وتعليق د. عثمان
أحمد) / مكتبة الأنجلو المصرية / ط ٤ / ١٩٨٠ .

رينيه ديكرت / مقالاً عن المنهج لأحكام قيادة المثلث والبحث عن الحقيقة في العلوم (ترجمة محمود محمد الخضري) / ط ١ / المطبعة الهندسية / ١٩٣٠ .

- ج. سامح كريم / ماذا يبقى من طه حسين / ٢ / دار الشعب / ١٩٧٥ .
سلس الكالي / مع طه حسين / ١٥ / سلسلة اقرأ / عدد ١١٢ .
سلس الكالي / مع طه حسين / ٢٤ / سلسلة اقرأ / عدد ٣٠١ .
سوزان طه حسين / معك / دار المعارف / ١٩٧٩ .

د. شوقي ضيف / العصر الجاهلي / دار المعارف / ط ٧ / ١٩٧٢ .

طه حسين / الأيام / ٢٥ / المعارف / ط ٦ / ١٩٨٢ .
طه حسين / حديث الأربعاء / ١٥ / دار المعارف / ط ١١ / ١٩٧٥ .

طه حسين / حديث الأربعاء / ٢٥ / دار المعارف / ١٩٤٥ .
طه حسين / حديث الأربعاء / ١٥ / دار المعارف / ط ١١ / ١٩٧٥ .
دار العرب للنشر .

طه حسين / في الأدب الجاهلي / دار المعارف / ١٩٦٤ .
طه حسين / في الشعر الجاهلي / مطبعة دار الكتب / ١٩٦٦ .
طه حسين / مع المتنبي / لجنة التأليف والترجمة والنشر / ط ١ / ١٩٣٦ (جزآن) .

عباس محمود العقاد / مطلع النور أو طوائف البهجة المحمدية / كتاب الهلال / عدد ٥٠ / مايو ١٩٥٥ .
د. عبد الرحمن بدوي (مشرف) / إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين / ١٩٦٢ .

عبد المتعال الصمدي / الحرية الدينية في الإسلام / ط ٢ / دار الفكر العربي .

عبد المتعال الصمدي / دراسات إسلامية / ط ١ / دار الفكر العربي .

عبد المتكامل المسمدي / مع زعيم الأدب الغربي في القرن العشرين /
مكتبة الجندي .

د . عثمان أمين / ديكرات / ط٢ / مكتبة النهضة المصرية / ١٩٥٣ .

عثمان نويه / اعلام الفكر الأوربي من سقراط إلى سارتر / ط١ / مكتبة
الهلل / عدد ٣١٣ / يناير ١٩٧٧ .

د . عفت الشرقاوى / دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلى /
دار النهضة المصرية ببيروت / ١٩٧٩ .

نقش رشوان / عصر ورجال / مكتبة الانجلو المصرية / ١٩٦٧ .

كمال ثابت قلته / طه حسين واثار الثقافة الفرنسية في أدبه / دار
المعارف بدمر .

محمد أحمد عرفة / نقض مطامن في القرآن الكريم / ط٢ / مكتبة
الزهراء / ١٩٨٦ .

محمد أحمد الغمراوى / النقد النطيلى لكتاب « في الأدب الجاهلى » /
المطبعة السلفية / ١٩٢٩ .

د . محمد حسين هيكل / مذكرات في السياسة المصرية / ط١ / مطبعة
بمر / ١٩٥١ .

محمد سميد الصريان / حياة الراحل / ط٢ / مطبعة الاستقامة
بالقاهرة / ١٩٥٥ .

محمد بن سلام الجبحى / تطبيقات نحول الشعراء (شرح محمود محمد
شاكرو) / دار المعارف / ١٩٥٢ .

محمد سيد كيلانى / طه حسين الشاعر الكاتب / ط١ / دار القومية
المصرية للطباعة والنشر / ١٩٦٣ .

محمد شلبى / مع رواد الفكر والفن / الهيئة العامة للكتاب / ١٩٨٢ .

د . محمد محمد حسين / الانتصارات الوطنية في الأدب العربى
المعاصر / ط١ / ط٢ / مكتبة الاهاب ومطبعها بالجيزة / ١٣٨٢ هـ .

- محمود شاكر / المظبي / السفر الأول / مطبعة المدنى / ١٩٧٦ .
د. مراد وهبة / قصة الفلسفة / سلسلة اقرا / عدد ٢٠٥ / ١٥ /
ابريل ١٩٨٥ .
مصطفى صادق الرافعي / تحت راية القرآن - المعركة بين القديم
والجديد / ط ٣ مطبعة الاستقامة بالقاهرة / ١٩٥٣ .
د. ناصر الدين الأسد / مصادر الشعر الجاهلي وقبيلها التاريخي
دار المعارف بمصر / ١٩٥٦ .
د. نعمت فؤاد / قيم أدبية / عالم الكتب / ١٩٦٦ .

مراجع أجنبية

- Antony Flew, A Dictionary Of Philosophy, Pan Books, 1979,
Bertrand Russell, A History Of Western Philosophy, George
Allen & Unwin Ltd., London 1947.
Ch. Dezobry & Th. Bachelet, Dictionnaire General de Biographie
et d' Histoire, Paris, Librairie Ch. Delagrave, 1893.
Clement Huart, Arabic Literature, William Heinemann, London,
1903.
Clement Huart, la Litterature Arabe, Librairie Arman Colin,
Paris, 1939, 4 ieme edition.
Descartes, Discours, de La Methode, Hachette et Cie, Paris,
1916.
Rgis Blachère, Le-Coran, Paris, Librairie Orientale et Americaine,
1954.
Bari Of Cromer, Modern Egpt, Vol. II, Macmillan & Co., London,
Encyclopaedia Of Religion & Ethics, vol. 9.
Margoliouth, Mohammed & the Rise Of Islam, G. P. Putman's
Sons, New York & London, 1905.

الدوريات

الأهرام / أعداد الجمعة :

• ١٩٨٦/١/٢٠

• ١٩٨٦/١/١٧

• ١٩٨٦/٢/٧

• ١٩٨٦/١٠/٢١

• ١٩٨٦/١١/٧

• ١٩٨٦/١١/١٤

القناة / سبتمبر ١٩٧٨ ، ونوفمبر ١٩٧٩ ، وديسمبر ١٩٨٠ .

الجريدة / ١٩٠٧/٤/٣٠ .

الحديث (الحلبية) / نيسان (أبريل) ١٩٢٨ .

النور / ١١ صفر / ١٤٠٧ هـ (١٥ أكتوبر / ١٩٨٦) .

الهلل / سبتمبر ١٩٨٤ .

Journal Of Asiatic Royal Society, July 1925, & July 1927 .

المؤلف

- ١ - الترجمة من الانجليزية - منهج جديد .
- ٢ - في الشعر الاسلامي والادبى - تحليل وتذوق .
- ٢ - في الشعر العباسي - تحليل وتذوق .
- ٤ - في الشعر الاندلسي - تحليل وتذوق .
- ٥ - في الشعر العربي الحديث - تحليل وتذوق .
- ٦ - فصول من النقد القصصى - رؤية جديدة .
- ٧ - من اعلام النقد القصصى (بالانجليزية) .
- ٨ - المستشرقون والقرآن .
- ٩ - مصدر القرآن - دراسة في الاعجاز النفيى .
- ١٠ - من الطبرى الى سيد قطب - دراسة في مآهج التفسير ومذاهبه .
- ١١ - تفسير سورة المائدة .
- ١٢ - تفسير سورة التوبة .
- ١٣ - محمود طاهر لآسين .
- ١٤ - نقد القصة في مصر .
- ١٥ - Novel - Criticism in Egypt .
- ١٦ - المتنبي - دراسة جديدة لحياته وشخصيته .
- ١٧ - معركة الشعر الجاهلى بين الرافعى وطه حسين - بحث موضوعى مفصل .

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
بني وكيف بدأت معركة الشعر الجاهلي ؟	٩
القضايا المتصلة بهذه المعركة	١٥
اتهام الرافعي لطلح حسين في عقيدته	٢٧
حرية الفكر	٣٩
اتهام الرافعي لطلح حسين بسرقة آراء المستشرقين	٤٩ -
تشابه آراء طلح حسين ومرجانيوت	٥٦
هل كان طلح حسين على علم ببقالة مرجانيوت في الشعر الجاهلي ؟	٦٤
هل استوحى طلح حسين نظريته في الشعر الجاهلي من رينان ؟	٧٨
هل ما قاله طلح حسين هو نفسه ما قاله ابن سلام ؟	٩٥
نقد الرافعي لمنهج طلح حسين في دراسة الشعر الجاهلي ولآرائه فيه	١٠٥
المصادر والمراجع	١٢٩
كتب المؤلف	١٣٥

رقم الايداع بدار الكتب ٨٧/٢٩٣٥

مطبعة النجف الجديد

٢٨ شارع الكباري - منشية ناصر